وزارة التــعليم العــالــي و البحث العــلمي

جامعة اكلي محند أولحاج

بالبويرة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية (شعبة التاريخ)

مذكرة لنيل درجة الماستر في تاريخ الوسيط (الإسلامي) الموسومة ب:

دور الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي في نشر المذهب المالكي بإفريقية(160 هـ ـ 240 هـ/774مـ 854 م)

إعداد الطالبة:

عقيلة لغواق

إشراف:

أ / ياسين بودريعة

اللجنة المناقشة:

أ/ عبد الرحيم صغيري: .....رئيساً

أ/ طاهر سبع: .....مناقشاً

أ/ ياسين بودريعة: .....مشرفاً

السنة الجامعية: 1435هـ_1436هـ/ 2014م _ 2015م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } .

كلمة شكر وعرفان

{ ربيّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ
وأن أعمل صالحاً ترضى وأدخلني برحمتك في عبادك صالحين}
صدق الله العظيم

ومن هذا المنطلق أتوجه بالشكر بدايةً إلى الله عز و جل وهو أجل الشكر، الذي منحني نعمة العلم و العقل ، وألهمني الصبر، و غرس في روحي المثابرة والعمل والعزيمة لتخطي الصعاب، وإتمام هذا العمل المتواضع، فالحمد و الشكر لله والصلاة و السلام على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم.

كما أتوجه بكلمة الشكر هذه إلى أستاذي المحترم: ياسين بودريعة لإشرافه على جميع مراحل هذه المذكرة من بدايتها إلى نهايتها وكان خير معلم ومعين، فلم يبخل عليّ بالنصح والعون، وكان صبورًا معي طوال إنجاز هذا العمل المتواضع، جزاه الله كل الخير، مع تمنّياتي له كل الصحة والعافية والتوفيق.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني سواء من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع، وأتوجّه بالشّكر الخالص إلى من شجّعوني على إتمام هذا العمل ولم يبخلوا عليّ بالنّصائح، من رئيس القسم التاريخ الأستاذ سعيد جلاوي، وإلى كل أعضاء الإدارة، وإلى كل هيئة التدريس من الأساتذة الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي دون استثناء، والذين لم يبخلوا عليّ بالإرشادات والنصائح والكتب، وإلى كل زملائي الطلبة الذين لم يبخلوا عليّ بالكتب والنصائح، دون أن أنسى أعضاء اللجنة المناقشة الذين سيحصل لهم الشرف لمناقشة هذه المذكرة.

الإهداء :

إلى أغلى نعم الله علينا في هذه الدنيا، وركيزة الأسرة ونورها
الذي لا ينطفئ، ومنبع الدفء والحنان والحب أمي
الغالية: فاطنة بوزيدي.

وإلى من علمني أنّ الأخلاق تاج كل إنسان، وكان مثلي الأعلى
أبي الحبيب: بلعيد.

وإلى من منحني ثقته ووضعها نصب عيني، وغرس الإيمان في قلبي،
وعلمني الصبر وتقاسم معي هذا العمل، وكان سنداً لي زوجي
عبد القادر بايزيد.

وإلى كل الإخوة وأخوات: خيرة واسماعيل وجهيدة وحميدة التي أتمنّى لها
النجاح في شهادة البكالوريا وعبد الكريم الذي أتمنّى له النّجاح في
دراسته ومحمد أمين أتمنى له الشفاء ، كما أتمنّى لهم كل الصحة والعافية،
دون أن أنسى إخوتي من العائلة الثانية من كبيرهم إلى
صغيرهم بدون استثناء وخاصة والداي زوجي،
وكذلك أزواج إخوتي.

أهدي عملي هذا إلى هبة الرحمان أتمنّى من الله أن
يشفيها وإلى محمد إسلام الدين.

المقدمة

مقدمة :

شهدت إفريقية العديد من العلماء في شتى العلوم خاصة في عهد الأغالبة ، وكان حكام بني الأغلب من المهتمين بالعلم والعلماء، بذلك صارت القيروان مركزا علميا ومقصد الطلاب من أنحاء مناطق المغرب والأندلس وحتى صقلية فيما بعد، وكان معظم هؤلاء العلماء لهم رحلات نحو المشرق لتحصيل العلوم ، وخاصة الشرعية منها، حيث تبحر الكثير منهم في التفسير والحديث، وخاصة الفقه، وقد مال الكثير منهم إلى مذهب مالك، حيث نبغ عدد كبير منهم في هذا المذهب، ومن أبرزهم الفقيه الشهير سحنون بن سعيد التنوخي الذي نشأ بإفريقية وتعلم على مشايخها، فأخذ عن العباس بن أشرس والبهلول بن راشد و علي بن زياد وآخرون ، ثم رحل إلى المشرق الإسلامي التي تلقى بها علومه ، حيث سمع من كبار تلامذة مالك بن أنس وأخذ عنهم أصول المذهب المالكي، ثمّ قدم إلى إفريقية وأظهر فقه مالك، حيث قام بمجهودات كبيرة من أجل نشر وترسيخ هذا المذهب في المغرب الإسلامي، حتى أنّه كان يمنع حلقات المذاهب الأخرى والفرق الكلامية من الاجتماع في مسجد الجامع بالقيروان.

على هذا الأساس أردت أن أسلط الضوء على هذه الشخصية من أجل إبراز دورها في نشر المذهب المالكي بإفريقية خاصة، والمغرب الإسلامي عامة، وقد جاء هذا الموضوع بعنوان دور الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي في نشر المذهب المالكي بإفريقية، وقد إقتصرت الفترة مابين 160- 240هـ/774-854م، والتي تمثل فترة حياة سحنون منذ ولادته إلى غاية وفاته، ومن خلال هذه الفترة تمكن من لعب دورا بارزا في تفقيه أهل إفريقية تفقيها مالكيا، خاصة بعد عودته من المشرق، فشرع في نشر الأصول هذا المذهب، لذلك يكتسي هذا الموضوع في تقديري أهمية كبيرة لكونها تظهر لنا خلفيات تكوين هذا الفقيه والمؤثرات التي كانت سببا في تأثره بفقه مالك بن أنس دون غيره.

أسباب اختيار الموضوع:

إنّ الموضوع قيد الدراسة خصصته لتّعرف بفقيه من فقهاء القيروان، وهو الإمام عبد السلام بن سعيد التنُّوخي المعروف بسحنون (160-240هـ/776-856م)، لإضافة اللبنة في إطار البحث العلمي من خلال المساهمة في إثراء المواضيع الخاصة بالمذهب المالكي بالقيروان، وخاصة لما نعلم أنّ هذا المذهب وهو الذي سيسود المغرب الإسلامي إلى وقتنا هذا.

كما أردت لفت الانتباه إلى هذه الشخصية التي لعبت دوراً هاما في نشر المذهب المالكي بإفريقية منذ نهاية القرن الثاني إلى غاية النصف الأول من القرن الثالث الهجريين، ففي هذه الفترة بدأ يشهد هذا المذهب إقبالا كبيرا من طرف مجتمع الأغلبي، وحفظ مذهب مالك بالمنطقة بفضل مدوّنته التي أتعد المرجع الأصلي لفقه مالك بعد الموطأ في المغرب الإسلامي.

زيادة إلى رغبتي الملحة في دراسة شخصية سحنون وإبراز دوره في نشر المذهب المالكي في إفريقية ، وذلك لتغافل الكثير عن هذه الشخصية خاصة في مجال الفقه المالكي.

ولقد شغلني موضوع انتشار المذهب المالكي ببلاد إفريقية خاصة، ثمّ المغرب عامة فيما بعد، لكنّي لاحظتُ أنّ هذا المذهب قد حظي بكثير من الأبحاث والدراسات منذ انتشاره ببلاد المغرب الإسلامي إلى غاية انتصاره في هذه المنطقة، فكان اهتمام الباحثين بدراسة المذهب المالكي عموما مثل:**"المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي "**لنجم الدين الهنتاتي، و**"مباحث في المذهب المالكي بالمغرب "** لعمر الجيدي ،**"والمذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره"** لسعيدة لوزري وغيرها من الدراسات الحديثة، دون دراسة خاصة للمجهودات التي قام بها بعض الفقهاء المالكية بالقيروان من خلال إسهامهم في نشر هذا المذهب و ترسيخه بالمغرب الإسلامي.

إشكالية الموضوع:

لقد فرض عليّ معالجة موضوع دور الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي في نشر المذهب المالكي بإفريقية، طرح الإشكالية الرئيسية التالية :

إذا كان الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي من بين الذين ساهموا في نشر و ترسيخ المذهب المالكي بإفريقية خاصة والمغرب عامة، فما هو الدور الذي لعبه، أو ما هو الجديد الذي قدمه من أجل أن يصبح هذا المذهب سائدا بالمغرب الإسلامي؟ وللإجابة على هذه الإشكالية تم طرح جملة من التساؤلات:

ـ كيف كانت الحياة الثقافية والفكرية والدينية في عهد الأغالبة قبل أن تنتقل رياسة المغرب إلى سحنون بن سعيد التنّوخي؟

ـ ما هي العوامل التي ساعدت أو مكنت سحنون أن يكون فقيها مشهورا؟

ـ كيف كانت مساهمة سحنون في نشر المذهب المالكي؟ وما هو الجديد الذي قدمه لهذا المذهب بالمغرب الإسلامي؟

ـ أين تكمن إسهامات سحنون كفقيه من الفقهاء المالكية في إفريقية أثناء حكم بني الأغلب؟

ـ كيف كان موقف سحنون من حكام الدولة الأغلبية؟

ـ أين تبرز جهود سحنون في نشر المذهب المالكي بإفريقية ؟ وما هي أهم إنجازاته ؟

ـ ما هي نتائج الحلقات العلمية التي كان يقوم بها سحنون، و محاربته للفرق والمذاهب الأخرى المخالفة لمذهب مالك بمسجد الجامع بالقيروان ؟

ـ كيف كان موقف سحنون من فتنة "القول بخلق القرآن"؟ ما هي الأسباب التي جعلته يتقبل وظيفة القضاء بإفريقية في عهد الأغالبة؟ وما هي الإصلاحات والتنظيمات التي قدمها كجديد لوظيفة القضاء بإفريقية؟

خطة الموضوع:

وللإجابة على تساؤلات السابقة قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وخاتمة تتخللهما أربعة فصول وكل فصل تناولت فيه ثلاثة مباحث تمثل البحث هذا في دراسة شخصية أحد فقهاء القيروان، وهو سحنون بن سعيد التنوخي في عهد الأغالبة بإفريقية خلال القرنين الثاني الهجري و الثالث الهجري/القرنين الثامن الميلادي و التاسع الميلادي، كانت على النحو التالي:

تناولت في **الفصل الأول:** وهو فصل تمهيدي للحياة الفكرية و العلمية بإفريقية في عهد الأغالبة، والذي احتوى على ثلاثة مباحث، **فالمبحث الأول:** تعرفنا كيف كانت مساهمة حكام الأغالبة في الحياة الفكرية و الثقافية بإفريقية مع ذكر أهم العلماء الذين عاصروا كل أمير، إضافة إلى الفقهاء الذين تولوا وظيفة القضاء القيروان، أما ***المبحث الثاني:*** *: عنونته بكيفية* دخول المذاهب الفقهية إلى إفريقية، الذي أوضحت فيه دخول هذه المذاهب وكيفية مساهمة كل من العلماء والأمراء الأغالبة وحتى المجتمع الأغلبي في تجسيدها بالمنطقة، رغم وجود العديد من المذاهب والفرق الكلامية و الخارجية ببلاد المغرب الإسلامي، و***المبحث الثالث والأخير:*** فكان بعنوان الحلقات العلمية والمناظرات التي كانت تقام بين علماء الحنفية والمالكية بالقيروان في عهد الأغالبة، خاصة المناظرات التي كانت بإشراف أو حضور الأمراء الأغالبة.

أما في **الفصل الثاني:**فكان بعنوان مولد ونشأة سحنون بن سعيد التنوخي، والذي بدوره اشتمل عل ثلاثة مباحث أساسية، ***أولها:***نشأة سحنون بن سعيد التنوخي، حيث ذكرت في هذا المبحث مولده بقرية بإفريقية بينما أصله يرجع إلى اليمن من قبيلة تنّوخ بالشام، وقد نشأ سحنون بإفريقية وتعلم بها، ***والمبحث الثاني:***كان بعنوان رحلات سحنون العلمية، حيث رحل إلى المشرق وأخذ عن كبار تلامذة مالك من مصر، ثمّ رحل إلى المدينة ومكة، وبعد عودته من رحلته شرع في نشر المذهب المالكي، وقد خرج سحنون من رحلته بالكتاب الذي حمل اسمه، وخلد مذهب الإمام مالك ببلاد المغرب الإسلامي إلى وقتنا هذا، **المبحث الأخير:** ذكرت فيه أهم الشيوخه الذين تتلمذ على أيديهم أثناء رحلته من كل المناطق

التي زارها بالمشرق الإسلامي، وقد حاول سحنون خلال رحلته أن يستقصي مذهب مالك من كل العلماء والفقهاء الذين التقى بهم.

و الفصل الثالث:تناولت في هذا الفصل أعمال سحنون العلمية بعد عودته من المشرق في عهد الأغالبة، هو الأخر يشتمل على ثلاثة مباحث ، بداية بـ***المبحث الأول:***كيف كانت مساهمته في نشر المذهب المالكي بإفريقية، رغم وجود عدة مذاهب الفقهية والفرق الخارجية والفرق الكلامية في المنطقة، وقد عمل على فض الفرق الضالة والمذاهب الأخرى، ***والثاني:*** خصصته للتعريف بالمدونة الكبرى في أصول فقه مالك، وما تحتويه من مسائل الفقهية، و كذا توضيح طريقة تأليف سحنون للمدوّنة، ودورها في نشر مذهب مالك بالمغرب الإسلامي وحتى الأندلس فيما بعد ،أما ***المبحث الثالث:*** فخصصته لذكر تلامذة سحنون الذين كانوا يحضرون مجالسه العلمية بالقيروان، لا من إفريقية وحدها، بل حتى المغرب والأندلس، حيث أخذوا عنه الفقه المالكي، وسمعوا مدوّنته التي ساعدت على ترسيخ هذا المذهب سواء في المغرب أو الأندلس، حيث أدخلت مدوّنة سحنون إلى الأندلس عن طريق طلابه الذين كانوا يحضرون مجالسه العلمية.

أما الفصل الرابع والأخير:فكان عنوانه سحنون والسياسة في عهد بني الأغلب ، والذي احتوى على ثلاثة مباحث، ***فالمبحث الأول:*** خصصته لذكر موقف سحنون من نظام حكام الأغالبة، خاصة في عهد الأمير زيادة الله الأول(201-223هـ/817-837م)، وكيف كانت علاقته بهم، كما تحدثتُ عن فتنة القول بخلق القرآن، التي زادت من موقف سحنون العدائي لأن بعض الأمراء الأغالبة كانوا يميلون للاعتزال بما أنّ الأغالبة كانوا تابعين للخلافة العباسية بالمشرق، ***أما ثانيها: و***عنونته بتولية سحنون وظيفة القضاء القيروان سنة 234هـ / 848م)، في عهد الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب(226-242هـ/841-854م)، بعدما ألحّ عليه هذا الأخير بتولي هذه وظيفة، لكن في الأخير ولي القضاء بعد أن اشترط عليه شروطاً وقبله الأمير، أمّا ***المبحث الثالث والأخير:*** فخصصته لذكر أهم الإصلاحات والتنظيمات التي قام بها أثناء توليته القضاء، حيث أنّ القضاء الأغلبي قد بلغ قمّته بتولية سحنون بن سعيد التنّوخي قضاء القيروان، وتجلى ذلك في إدخال جديد في وظيفة قضاء،

برغم من أنّه كان قاضيا لمدة قصيرة والتي دامت ست سنوات، من سنة 234هـ إلى غاية وفاته سنة 240هـ رحمة الله عليه.

المنهج المتبع:

للإجابة على الإشكالية التي تتمحور حولها العديد من التساؤلات اتبعت بعض المناهج التي تقتضيها طبيعة هذا الموضوع، وبعد الانتهاء من عملية جمع المعلومات الخاصة بالموضوع الدراسة الواردة في المصادر والمراجع والتي اهتمت في مجملها بالجوانب الثقافية و التاريخية و الشرعية ، وأمام تشعب البحث خاصة في الدراسة الشخصية التي تعد فقيه من فقهاء القيروان الذي كان له دور في نشر و ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، وجدت نفسي ملزمةً بالعودة إلى مختلف النصوص من مختلف المصادر والمقارنة فيما بينها مع حسن الاستدلال بها والتعليق عليها، كلما اقتضت الحاجة لذلك كما اعتمدت على الدراسات والأبحاث ذات الصلة بالموضوع.

واعتمدت في البحث هذا على المنهج التاريخي الوصفي الذي يهتم بوصف الأوضاع الثقافية والفكرية والسياسية في حياة الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي، لأنّ موضوع بحثنا هو جملة من الأحداث التي عاشها سحنون.

كما اتبعت في دراستي لهذا الموضوع منهجًا تاريخيًا تحليليًا نقديًا قائما على التوثيق والمقارنة والاستنتاج ، وفق منهجية الدراسات التاريخية بتحليل والمقارنة النصوص التاريخية بعضها ببعض ، ونقدها ثم التنسيق فيما بينها بأرائي الاستنتاجية.

نقد المصادر والمراجع:

لمعالجة هذا الموضوع اعتمدت على جملة من المصادر الأصلية والمراجع التي أفادتني في إنجاز هذا العمل المتواضع، والتي تتعلق بالحياة الفكرية والثقافية، اعتمدت أولاً على أهم كتاب في الفقه المالكي وهو المدوّنة الكبرى لسحنون، ثمّ اعتمدتُ على كتب الطبقات والتراجم بالدرجة الأولى، ثم على الكتب التي تؤرّخ للمغرب الإسلامي عامة بالدرجة الثانية.

من أهم المصادر نذكر كتاب **طبقات علماء إفريقية وتونس** الذي يعد من أهم كتب التراجم والطبقات **لأبي العرب** (محمد بم أحمد تميم التميمي (ت 333هـ/945م)،وهو مؤرخ مخضرم عاصر العهدين الأغلبي والفاطمي، ويعتبر كتابه من المصادر الأولى، ذلك أنّ أبا العرب كان من الفقهاء الذين خرجوا لقتال الفاطميين، وحرّضوا العامة على ذلك، وقد أفادني كتابه بمعلومات تاريخية عن دخول المذهب المالكي وانتشاره في إفريقية، وكذلك أفادني في التعرف عن أهم فقهاء المالكية عامة في القرنين الثاني و الثالث الهجريين في القيروان وخاصة الفقيه المشهور سحنون بن سعيد التنّوخي، كما نجد أبا العرب توخى في كتابه هذا الإيجاز في الترجمة، إلاّ أنه أهمل تاريخ وفاة بعض الأعلام.

كما اعتمدت على كتاب **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية للخشني** (أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد (ت 361هـ/ 971م) الذي أكمل هذا الكتاب عن شيخه أبي العرب وتميّز فيه بسعة أفقه وخروجه عن أسلوب المحدّثين وترجمته لغير أعلام المالكية من الحنفية والشافعية، كما أنه لم يهمل ذكر المعتزلة القائلين بخلق القرآن، حيث أفادني في معرفة الفقهاء من شيوخ سحنون وتلامذته الذين تولوا وظيفة القضاء بالقيروان، لكن باختصار شديد، كما اعتمدت على كتاب آخر له سماه **طبقات العلماء إفريقية** والذي أفادني أيضا في التعرف على من كان يحضر مجلس سحنون في القيروان من تلاميذه.

كما تميز **المالكي** (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد (ت474هـ /1082م) صاحب **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم من الفتح العربي إلى آخر سنة300هـ)** التي أخذها عن أبي العرب التميمي و الخشني، والذي تميز بطول سرد الأخبار بكثير من الإيضاحات، ووفرة معلومات وتكمن أهمية هذا الكتاب في توفره على النقول الأصلية الواردة في مجموع الكتب والمصنفات التي أخذ عنها من المصادر القديمة التي لم تصل إلينا ، والتي تمكن اطلع عليها، كقطع من كتاب المغرب في أخبار إفريقية والمغرب لأبي الحسن بن أبي سعيد المعروف بالوكيل (ت 346هـ /957م) أفادني هذا الكتاب بمعلومات عن ترجمة أشهر فقهاء القيروان ألا وهو سحنون، كما أفادني في تعريف معظم الشخصيات

التي تعرضتُ لها في هذا البحث من شيوخ سحنون وتلامذته ، إلاّ أن وجدته يذكر تواريخ وفاة الأعلام التي يوردها مبعثرة أحيانا يذكرها في بداية الترجمة وأحيانا آخرى في نهاية الترجمة وأحيانا يهمل ذكرها.

كما اعتمدت على كتاب **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض**(أبو الفضل بن موسى عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ /1149م)، الذي يعتبر من أهم كتب التراجم والطبقات ذلك أن صاحبه جمع به تراجم المالكية ببلاد المغرب و المشرق وهو لا يغفل عن ذكر تواريخ ووفاة الأعلام والتي يجعلها غادة في نهاية الترجمة ، وأفادني بمعلومات جد هامة عن تراجم المالكية في القيروان.

في حين يعد كتاب **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد الدباغ**(699هـ/1300م)،والذي أكمله أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي (839هـ /1435م)، من أجمع الكتب الطبقات لما جاء فيه من التفصيل لجميع مرويات ممن سبقه من المؤرخين ، مما زاد في قيمة الكتاب من تعليقات لبن ناجي واستدراكاته على المعلومات الواردة فيه، حيث أفادني في تعرف على تلامذة سحنون من أهل المغرب فقط، فهو لم يشر إلى طلبة سحنون الوافدين إليه من المناطق البعيدة خاصة الأندلس، وهذا ما جعلني أعتمد على كتاب **تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى(403هـ)** الذي أفادني في معرفة العلماء الذين كان لهم حظ في السماع من سحنون، لكنّه أورد ترجمة هؤلاء باختصار.

كما اعتمدت كتب التاريخ، والتي من أهمها كتاب **الحلة السيراء لابن الأبار** أبي عبد الله محمد بن عبد الله(ت 658هـ/1260م)، الذي ساعدني كثيرًا في التعرف على ثقافة أمراء الأغالبة .

كذلك كتاب **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي**، الذي يعتبر من المصادر المغربية الهامة رغم أنّه نقل عن الرقيق القيرواني، الذي أفادني في ذكر الحكام الذين تداولوا على السلطة الأغلبية بالمغرب الأدنى.

كما اعتمدت على كتاب **نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري**، وهو من الكتب المشرقية المهمة، الذي أفادني خاصة في تاريخ الدولة الأغلبية.

وهناك العديد من المصادر الأخرى يصعب ذكرها جميعها، وهذا لطبيعة المذكرة، أمّا فيما يخص المراجع فهي كثيرة، أقتصر على ذكر بعضها، **ككتاب الإمام سحنون لمحمد زينهم**، الذي أفادني في التعرف على المصادر التي ترجمت لشخصية الإمام سحنون والاطلاع عليها، وكذالك كتاب **مباحث في مذهب المالكي بالمغرب لعمر الجيدي، وكتاب المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي لنجم الدين الهنتاتي** الذي أفادني في التعرف على المناطق التي انتشر فيها مذهب مالك، ومن بين المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا على كتاب **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية لمحمد زيتون**، الذي أفادني في الدور الذي لعبه سحنون في نشر مذهب مالك، كما أفادني كتاب **المغرب العربي تاريخه وثقافته** لرابح بونار، أيضًا **كتاب سحنون مشكاة نور وعلم وحق** لأبي جيب سعدي .

صعوبات البحث:

أمّا فيما يخص الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذه المذكرة، فهي كثيرة لكن أغلبها كالتالي:

ـ إنّ أهم مشكل واجهني في بحثي هذا، هو كثرة المصادر الخاصة بالموضوع وصعوبة توظيفها، والتي تتمثل أساساً في كتب التراجم، فكان لزاما عليّ قراءة كل هذه المصادر التي تتعلق بحياة سحنون العلمية، وخاصة جهوده في نشر المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، واستخراج المعلومات الخاصة بموضوع بحثي.

ـ كذالك صعوبة الحصول على هذه المصادر خاصة الورقية، وقد كان الاعتماد على صيغة pdf، إضافة إلى صعوبة الحصول على المخطوطات التي تتناول هذا الموضوع.

ـ إضافة إلى ضيق الوقت المخصص لإعداد هذه المذكرة، خاصة أنّ شخصية الإمام سحنون تتطلب تفرغاً كليًا للقراءة الممحصة والمعمقة لغموض الموضوع وصعوبته في حدِّ ذاته، والتي تمثلت أساساً في طبيعة الموضوع وجدّيته، لكن رغم هذا فإني وبحمد الله وفقتُ من الانتهاء من إنجاز هذا البحث على شكل مذكرة، وكل هذا كان بإذن الله تعالى وبتشجيع من الأستاذ المشرف جزاه الله خيرا.

الفصل الأول: الحياة العلمية والفكرية بإفريقية في عهد الأغالبة.

أولا: الدور الثقافي للحكام الأغالبة.

ثانيًا: دخول المذاهب الفقهية إلى إفريقية.

ثالثًا: المناظرات والحلقات العلمية بالقيروان في عهد الأغالبة.

أولاً: الدور الثقافي لحكام الأغالبة :

أدى انتقال الخلافة الإسلامية بالمشرق من الشام إلى العراق بعد قيام الدولة العباسية، إلى قيام دول مستقلة بالمغرب الإسلامي، فكان قيام دولة الأغالبة بإفريقية نتيجة لما كان يسود البلاد من اضطرابات وثورات الجند العرب والبربر، والفوضى بانعدام الأمن والاستقرار، وصراع مذهبي، وأمام هذه الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ظهر إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي:(184- 196هـ / 800- 812م) مؤسس دولة الأغالبة[1]، ويرجع أصله إلى قبيلة تميم، من عشيرة بني سعد بن زيد مناة[2]، وفدوا إلى إفريقية، واستقرّ هؤلاء بفضل الفتوحات[3] الإسلامية، والده الأغلب الذي كان من جند، يعنى أنه كان من الجند العربي الذي وفد مع القوات العباسية إلى مصر، ودخل الأغلب إفريقية في قوات محمد بن الأشعث سنة 144هـ / 761م[4]، قال عنه ابن الأبار" أنّ إبراهيم هذا كان فقيها عالما، أديبا شاعرا خطيبا، ذا رأي، وبأس وحزم، ومعرفة بالحرب ومكائدها، جريء الجنان، طويل اللسان، حسن السيرة، لم يل إفريقية أحد قبله من الأمراء أعدل في سيرة، ولا أحسن سياسة، ولا أرفق برعية، ولا أضبط لأمر منه"[5]، ولقد اشتهرت ولايته بالعلماء والفقهاء نذكر على سبيل المثال الفقيه عبد الله بن عمر بن غانم (ت 190هـ/ 805م)، كان

1- محمد ،الطابي ،الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184- 296هـ/800م -909 م)، تعريب المنجي الصيادي، ومراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415هـ/1995م، ص ص84،85.

2- وهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وتميم قد مرّ نسبه عند ذكره في حرف التاء المثناة من فوق، كان له من الوالد كعب والحارث وعمرو وعوافة ... قد تقدم ذكرهم في حرف الألف فيما يقال يلفظ الجمع في الألف واللام مع الباء الموحدة، ينظر أبي العباس أحمد، القلقشندي،(756هـ - 821هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ،تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان، 1400هـ /1980م، ص ص 285،286.

3- محمد ،الطالبي ، دائرة المعارف التونسية في تاريخ إفريقية ،الجمهورية التونسية وزارة الثقافة ، المجتمع التونسي للعلوم والأداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس ، ص14.

4- سعد ،زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب الإسلامي (تاريخ دول الأغالبة الرستميين و بني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)، ج2، منشأة المعارف الإسكندرية جلال حزي ، الكويت، 1979م، ص27.

5- ابن الأبار ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (658هـ /1260م) ، الحلة السّيراء، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1985،ج1 ،ص93.

قاضي إفريقية في عهده، ومن بين الفقهاء والعلماء بالقيروان[1] نذكر محمد بن عبد الله بن قيس أبو محرز(ت 214هـ)، كان الغالب عليه المذهب الحنفي، والذي ولاه القضاء إبراهيم بن الأغلب سنة 191هـ/807م بعد ابن غانم، كما نجد من بين الفقهاء الذين عاصروا حكمه أسد بن الفرات (ت 213)، ولقد عرفت فترة حكمه نوع من الاستقرار يسوده الأمن والهدوء، نتج عن ذلك بداية انتعاش الحياة الثقافية في إفريقية بفضل الفقهاء والعلماء، بحيث قال ابن العذارى عن إبراهيم أنه "ولا أوفى بعهد ولا أرعى لحرمة منه، فطاعت له قبائل البربر، وتمهدت أفريقية"[2] في أيامه[3]، كما يضيف أيضا محمود مقديش أنه "، كان رئيسا شريف النفس، فاضلا نبيلا، عالما فصيحا ،حسن السيرة[4]، وقيل أنه كان حافظا للقرآن، وهذا دليل على ثقافة إبراهيم وخاصة أنه قد أفنى صباه في الدرس والتحصيل بالفسطاط و أنه كان يحضر مجالس الفقيه المصري الليث بن سعد[5]، ويذكر ابن عذارى في هذا الصدد قول الليث ابن سعد[6] عن إبراهيم : " ليكون لهذا الفتى شأن"[7]، وهذا دليل آخر على ثقافة إبراهيم بن الأغلب لتردده على مجالس فقيه مصر آنذاك،" ولما أراد إبراهيم الخروج إلى المغرب أتى الليث ليودعه فقال له: يا أبا إسحاق قد كنت رأيتك تطرب إلى هذه

1ـ القيروان: معرّب وهو بالفارسية كاروان ، وقد تكلمت به العرب قديما والقيروان في الإقليم الثالث، هذه مدينة عظيمة بإفريقية غبرست دهرا، وليس بالمغرب، إختطها عقبة بن نافع سنة 50هـ/670م، ينظر شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر،بيروت،1977م، ج4، ص ص 420، 421، و زكريا بن محمد، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، د/ ط، دار صادر، بيروت، د/ت، ص 242.

2ـ إفريقية: قال قوم أنها إفريقية أي صاحبة السماء ،وقال الآخرون سميت إفريقية لأن إفريقش بن أبراهة بن البرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في أرض بربر وهو الذي بنى إفريقية وباسمه سميت وقيل سميت بافريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية ، قال قوم إنما سموا الأفارقة و بلادهم إفريقية ، لأنهم من ولد فارق بن مصر، ينظر أبي عبيد، البكري (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د/ ت ، ص21 وما بعدها.

3ـ ابن عذارى، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج1 ، تحقيق ومراجعة ج. س . كولان ، و إ. ليفي بروفنسال، ط 3،1983 ، ج1، ص 92.

4ـ محمود، مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ، ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ، 1988، المجلد الأول، ص 322.

5ـ سعد زغلول، المرجع السابق ،ص 27.

6ـ الليث بن سعد:هوفقيه من فقهاء مصر، وهو من شيوخ مالك بن أنس،الذي روى عنه، توفي قبل الإمام مالك بأربع سنين،أنظر القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد ناويت الطنجي،المغرب،1983م، ج1، ص142.

7ـ ابن عذارى ، المصدر أعلاه، ص 92.

الجارية ـ وهو يعني جلاجل ـ وهي أديبة، وأنت خارج وقد وهبتها لك، فقبلها"[1]، فقبلها وخرج بها حتى وصل إلى الزاب[2]، كما أورد كل من ابن الأبار وابن عذارى: أنّ لإبراهيم مقطوعات شعرية بعدما خلف أهله بمصر، وهو القائل:

ما سرت ميلا ولا جاوزت مرحلة . . . إلّا وذكرك يلوي دائماً عنقي

ولا ذكرتك إلاّ بث مرتقباه . . . أرعى النجم كان الموت مغتبقي[3]

كما أضاف الرقيق القيرواني أبياتا شعرية لإبراهيم وهو القائل :

ألم ترني بالكيد أرديت راشداً . . . بأخرى وإني لإبن إدريس راصدُ

تناوله عزمي على نأي داره . . . بمختومة في طيّهن المكائدُ

فمات أخو عكَّ بمهلك راشد . . . وقد كنت فيها شاردًا وهو شاهدُ[4]

لقد أورد إبراهيم بن الأغلب هذه الأبيات الشعرية بعدما زاد شوقه إلى أهله بمصر وهذا دليل على أنّ إبراهيم كان يجيد الشعر.

ويعد إبراهيم أول حكام الأغالبة الذي ولاه الخليفة العباسي هارون الرشيد[5] سنة 184هـ /800م، وذلك حسب رواية ابن عذارى " وصله عهد الرشيد في العشر الأواسط لجمادى

---

[1] ـ الرقيق ، القيرواني ،تاريخ إفريقية والمغرب ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ / 1994م،ص 128.

[2] ـ الزاب: منطقة واسعة فيها حصون عربية كثيرة ، مثل ميلة وطبنة ونقاوس وبلزمة ويقيم فيها قبائل من قيس وتميم ، تقع بين إفريقية وشرق المغرب الأوسط وشرق جبال الأوراس وتشمل أيضا المناطق الغربية من بلاد الجريد، ينظر محمد بن عبد المنعم ،الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط 2 ، مكتبة لبنان ، بيروت، 1984، ص 281، وأحمد، اليعقوبي، البلدان، ط3، النجف ، 1377هـ/ 1957، ص 68.

[3] ـ ابن الأبار، المصدر السابق، ص 94. ابن عذارى ، المصدر السابق، ص92.

[4] ـ الرقيق ،القيرواني ، المصدر السابق ، ص 92.

[5] ـ تولى بعد أخوه سنة 170هـ / 786م بعهد من أبيه كان فصيحا، بليغا، أديبا ، كثير العبادة ، والحج والغزو (يحج عاما ويغزو عاما) توفي سنة 193هـ / 809م ،ينظر محمود ، مقديش، المصدر السابق، ص ص 249،250.

الأخيرة من سنة 184هـ ،وقال له فيه: " قد تقدم لكم بإفريقية أمر"[1]، بينما يذكر ابن أبي دينار أنه" كان سنة 184هـ من قبل هارون الرشيد وقيل 185هـ[2]، والراجح أنه ولي إفريقية سنة 184هـ، ورغم الاختلاف في سنة تولية إبراهيم بن الأغلب إلاّ أن المصادر اتفقت على أن توليته للحكم كان من طرف هارون الرشيد، بقي في الحكم إلى غاية وفاته بالقيروان سنة 196هـ /812م

أمّا ثاني أمراء الأغالبة هو عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب:(196- 201هـ /811-817م) وهو أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ، لما مات إبراهيم ابن الأغلب صار الأمر بعده لابنه أبي العباس عبد الله وكان غائبا بطرابلس، فقام له أخوه زيادة الله بالأمر وأخذ له البيعة على نفسه وأهل بيته ،وجميع رجاله وخدمه وبعث إليه بذلك[3]، وفي رواية أخرى ذكر ابن عذارى أن المأمون[4] أقرّ عبد الله بن إبراهيم على الإمارة بعد استخلافه[5]، والواقع أنّ البيعة أخذت لعبد الله في القيروان من قبل أخيه الأكبر زيادة الله سنة 196هـ /811م وهو غائب في طرابلس بعدما توفي أبوه، لم تذكر لا المصادر ولا المراجع عن حياته العلمية ولا الثقافية ،وكل ما عرف عنه أنه أساء التصرف وأكثر من الضرائب ،حيث أوضح ابن عذارى في كتابه " أنّه كان أجمل الناس وجهاً وأقبحهم فعلاً وأعظمهم ظلماً أحدث بإفريقية وجهاً من الظلم شنيعة"[6]، حيث قام بإصلاح نظام الضرائب وأكثر من الضرائب، رغم نصح الفقهاء له ، وكان يهدف إلى تثبيت مال الخراج السنوي،

1- ابن عذارى ، المصدر أعلاه، ص 92.

2- أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم، ابن أبي دينار الرّعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،تحقيق وتعليق محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة ،جامع الزيتونة ،تونس، شعبان 1487هـ ، ص ص 48 ،49.

3- الرقيق ، المصدر السابق ، ص 199، و ابن عذارى، المصدر السابق، ص 95.

4- تولى الخلافة سنة 193هـ ،وكان من أجل بني العباس حزما وعلما وفراسة وفروسية وأقواهم ذكاءً وفهماً ،سمع الحديث عن جماعة ، وامتحن الناس بالقول بخلق القرآن الكريم ، توفي المأمون في 12 رجب سنة 218هـ بأرض الروم غازيا، ينظر محمود ، مقديش، المصدر السابق، ص 152،153.

5- ابن عذارى ، المصدر أعلاه ، ص 95.

6 - نفسه ، ص 95.

بأن جعله ضريبة مالية ثانية ،مما يتضمن له صرف رواتب العسكر الذين كانوا يسببون للدولة الكثير من المتاعب، واعتبر فقهاء المالكية هذا الإصلاح المالي خروجا على السنّة[1]، فاحتجّ الفقهاء والعبّاد من مشايخ إفريقية على هذا الإجراء المالي الجديد الذي قام به هذا الأمير الأغلبي، لكن بدون جدوى، وتوفي أبو العباس عبد الله بن إبراهيم سنة 201هـ/817م بسبب مرض أصابه.

وبويع من بعده زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي (201-223هـ/817-837م)، وكنيته أبو محمد، وكان أول من سمي زيادة الله في الإسلام[2]، وهو الذي بنى جامع القيروان بعد أن هدمه وبني المحراب كله، وعُرف عنه أنه كان يحضر مجالسه الشعراء والمضحكون، كما كان يشرب فيها الخمر، وأساء السيرة في الجند، سفك فيهم الدماء[3]، إلاّ أنّ ابن الأبار يصفيه بأنه " أفضل أهل بيته أفصحهم لساناً ،وأكثرهم بياناً ، وكان يعرب كلامه ، ولا يلحن، دون تشادق ولا يقعر ،ويصوغ الشعر الجيد"[4]، وهذا ما يؤكد رقة الأمير الذي كان شاعراً ، بحيث عرف عنه أنه كان يحمي الشعر والشعراء، ولقد أثبت قيل أنّ للأمير الأغلبي زيادة الله عدة أبيات شعرية ، كان قد ذيّل بها خطابا وجهه إلى الخليفة المأمون رداً على طلبه ، وهو في حالة سكر قائلاً:

أنا النار في أحجارها مستكنة . . . فإن كنت ممن يقدح الزند فاقدح

أنا الليث يحمي غيلة بزيره . . . فإن كنت كلبا حان موتك فانبح

أنا البحر في أمواجه وعبابه . . . فإن كنت ممن يسبح البحر فاسبح[5]

وقيل أنّه لمّا فاق من سكره أدرك ما فعله، فبعث له بكتاب يترضاه به ،لأنّه أساء إليه بلفظه بأقبح الأسماء، كما كان زيادة الله يعقد المناظرات بين العلماء والفقهاء في قصره

1- سعد زغلول، المرجع السابق، ص41.
2- سعد زغلول، المرجع السابق، ص 43.
3- ابن عذارى ، المصدر السابق، ص 96.
4- ابن الأبار، المصدر السابق، ص 163.
5 - نفسه، ص 165.

من أجل الوصول إلى الحقيقة، فكانت من بين هذه المناظرات التي عقدت في عهده، تدور حول تحليل النّبيذ[1] وتحريمه.

كما عرفت في عهده فتنة القول بخلق القرآن[2] التي أثرها أصحاب الإعتزال وتبناها الخليفة العباسي المأمون وامتحن فيها الكثير من أهل إفريقية بما فيهم العلماء والفقهاء، قال الله عزّ وجل: {يَا أَهْلُ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِيْ دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى ٱللَهِ إِلاَّ الحَق}[3] ، ومع هذا نجده يولي قضاء القيروان فقيه عصره وهو أسد بن الفرات[4] سنة 203هـ، كما كان قائداً على الحملة التي أرسلها زيادة الله إلى صقلية سنة 212هـ، وتوفي بها سنة 213هـ.

وفي سنة 223هـ/ 837م توفي زيادة الله و ألل ملك إفريقية بعد وفاته إلى أبي عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بخزر، فكانت حكم ولايته ما بين(223ـ 226هـ/838 -841م)، وقام أبو عقال الأغلبي بإجراء كان فيه إرضاءاً لمشايخ القيروان وعلمائها وعبّادها وذلك أنه منع عمل النبيذ والخمر في القيروان، واقتداءا بقوله عز وجل: { يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ العَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الأَيَاتِ لَعَلَكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}[5]، بل عاقب أيضًا

---

[1]ـ هو الشيء المنْبُوذ والنَّبيذُ ما نُبِذ من عصير ونحوه، وقد نَبَذَ النّبيذ وأنْبذه وانْتَبَذه ونبَّذه ونبذْتُ نبِيذًا،إذا اتخذته وهو ما يُعمل من الأشربة من التمر والزبيبُ والعسل والحِنْطة والشعير وغير ذلك، ينظر جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهشام محمد الشاذلي، طبعة جديدة محققة ومشكولة مذّيلة بفهارس مفصلة، دار المعارف، القاهرة، د/ت، المجلد 6، ص 4322.

[2] ـ حمل الخليفة العباسي المأمون بإيعاز من المعتزلة الناس على القول بخلق القرآن بخطأ الكثير من الباحثين عندما يقدموا سنة 212هـ/827م ،كبداية لهذه المقولة والحقيقة أن المأمون حاول في هذه السنة دعوة الناس إلى أنه لم ينل مقصده حتى كانت سنة 218هـ/833م ، حيث شدد على فقهاء أهل السنّة بالامتحان ،فسجن وضرب الكثير منهم ، واستمرت المحنة إلى أن تولى الخليفة المتوكل (232- 247هـ/847-861م)، فسخط على المعتزلة وأبعدهم وأبطل القول بخلق القرآن الكريم سنة 234هـ/894م، ينظر عواد بن عبد الله، المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، ط2، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1995، ص ص40- 43.

[3]ـ سورة النّساء، الأية 171.

[4]ـ هو مولى بني سليم بن قيس كنيته أبو عبد الله ،وولد بنجران من ديار بكر قدم أبوه وأمه حامل به ،ثم تعلم القرآن ثم اختلاف إلى علي بن زياد بتونس ، فلزمه وتعلم منه وتفقه به ثم وحل إلى المشرق ، فسمع من مالك موطأه وغيره ،ثم رحل إلى العراق ،فأخذ عن علمائه، ينظر إبراهيم بن نور الدين ، ابن فرحون المالكي ، (م 799هـ) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، ط1 ، دار الكتاب العلمية بيروت ـ لبنان، 1418هـ /1996م، ص ص 161، 162.وأبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري ، الدباغ ، (ت 696هـ) ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنّوخي (ت 839هـ) ، تحقيق محمد أبو صمري أبو النور ، ومحمد ماضيق، مكتبة الخانجي، بمصر ومكتبة العتيقة، بتونس، ج2، ص ص 3،4.

[5]ـ سورة البقرة ، الأية :219.

على بيعه وشربه بعد أن كان بعض الفقهاء الحنفيّة يبيحونه[1]، ذكر ابن عذارى أنّه " فلما ولي من الناس وأحسن إليهم وإلى الجند"[2]، نفهم أنه أحسن السيرة بنشره العدل في إفريقية ، ولقد أوضح ابن الأبار أنّه كان له حظ من الأدب، فهو يجيد الشعر قوله :

له مقلة تكفيه حمل سلاحه . . . محاربة ألحاظها من تسالمه

سقى صبّه من خمرها فبدأ بها . . . كما تفعل الصهباء ما هو كاتمه

وقد سكرت أجفانه فكأنما . . . تسقّيه من صهبائها و تنادمه[3]

وفي سنة 226هـ/841م توفي أبو عقال، أل الحكم إفريقية لابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (226 - 242هـ/841 - 856م)، وهو خامس حكام الأغالبة، كانت ولايته هادئة مطمئنة،وقيل أنّه كان عقيماً، وكان قليل العلم، بحيث أورد ابن عذارى في رواية عن هذا الأمير أنه " كان محمد هذا قليل العلم ذكر أنّ رجاء الكاتب كان يوما بين يديه فكتب محمد لحم ضبي بضاد مسقوطة، فلما خلا المجلس قال له كاتبه: أيّد الله الأمير! الضبي يكتب بظاء مرفوعة ،فقال له محمد :قد علمنا فيه اختلاف ، فأبو حنيفة يجعله بالظاء ومالك يجعله بالضاد"[4] ورغم قلّته للعلم وجهله ،إلاّ أنّه أولى العناية برابطات العبّاد، كما عاصر خلال حكمه كبار أئمة المالكية من أهل إفريقية[5]، كما ولى قضاء القيروان عالم وفقيه عصره ألا وهو الفقيه سحنون بن سعيد التنّوخي، وبالإضافة إلى أنّه يجيد الشعر،وقد أثبت له ابن الأبار عدة أبيات شعرية ،وهو يفخر في ما نسبه إليه بعض خاصته قائلاً:

أليس أبي وجدّي أوطاني . . . وجدُّ أبي وعماي ـ الرقابا ؟

ورثت الملك والسلطان عنهم ... فصرت أعزّ من وطئ الترابا

1ـ سعد زغلول ،المرجع السابق، ص 77.
2 ـ ابن عذارى ، المصدر السابق، ص107.
3ـ ابن الأبار، المصدر السابق، ص ص168،169.
4ـ ابن عذارى ،المصدر أعلاه ، ص ص 107،108.
5 ـ سعد زغلول، المرجع أعلاه، ص 86.

وقدّ من الخلائف واصطفوني... فمن مثلي قديما وانتسابا

أنا الملك الذي أسمو بنفسي ... فأبلغ بالسمو بها السحابا

إذا نقّبت عن كرمي ومجدي ...وجدتني المصاصة واللّبابا

أنا الملك الذي أيّدت ملكي . .. بسيفي إذْ كشفت به الضبابا

فأمضى إن سردت الجفن عنه... فأغتصب النفوس به أغتصاباً[1]

أما سادس حكام الأغالبة هو أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : (242 - 249هـ/856 - 863م)، تولي حكم بعد والده محمد بن الأغلب سنة 242هـ/856م، قيل أنه زاد في جامع القيروان والمجنّبات والقبة ، كما عُرف عنه أنّه بنى المسجد الجامع بمدينة تونس وغيرها من المباني بإفريقية تعود إليه[2]، وهذا دليل على أنّ هذا الأمير كان يولي اهتمامه بالمجال العمراني والثقافي ،غير أنّه لم تذكر لا المصادر ولا المراجع عن علمه وثقافته ،وإنّما كان حسن السيرة ،جميل الأثر ،كريم الأخلاق والأفعال، من أجود الملوك ،وأسمحهم وأرفقهم برعية مع دين وانصاف للمظلوم[3]، لقد شهدت إفريقية مجموعة من العلماء والفقهاء في عهده من بينهم أبو محمد الضرير الأنصاري (ت250هـ)، والذي عُرف عنه أنّه بنى مسجداً بالقيروان، نجد أيضاً الفقيه الشهير محمد بن سحنون (ت 256هـ)، والذي كان إماما للنّاس بعد أبيه، وفي سنة 249هـ/ 863م توفي الأمير الأغلبي أبي إبراهيم أحمد بن محمد .

1 ـ ابن الأبار ، المصدر السابق، ص 170.

2ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، النويري(ت 833هـ)، نهاية الأرب في فنون الآداب، تحقيق عبد المجيد ، ترحيني، د ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، د/ت، ج24، ص66.

3ـ نفسه، ص 67.

أل حكم إفريقية لأبي محمد زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، بعد أخيه، (249 - 250هـ/863 - 864م)، وهو الثاني ممن اسمه زيادة الله الثاني في حكام بني الأغلب، فكانت ولايته سنة واحدة[1] ، ولهذا لم تكن له أخبار عن حياته لقصر مدّة حكمه، غير أنّه عرف عنه أنّه "كان عاقلا حليما ،حسن السيرة ،جميل الأفعال، ذا رأي ونجدة ، وجود وشجاعة"[2]، توفي سنة 250هـ/ 864م.

بعد وفاة زيادة الله الثاني سنة 250هـ/ 864م، تقلد الحكم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بأبي الغرانيق[3]، بعد عمه زيادة الله الثاني، (250- 261هـ/864 - 875م)، كان غاية في الجواد مسرفا في العطاء مع حسن سيرة في الرّعية ورفق بهم ،ثمّ غلبت عليه اللذات والاشتغال بها[4]، فحين نجد ابن الأبار يذكر:" أنّه لم يوصف بعلم بارع ولا أدب، وكان ربّما صنع شيئا ضعيفا"[5]، فمن ذلك قوله أثبتها ابن الأبار:

نحن النجوم بنو النجوم وجدنا . . . قمر السماء أبو النجوم تميم

والشمس جدّتنا ،فمن ذا مثلنا . . . متواصلان: كريمة وكريم ؟

لقد شهدت إفريقية في عهد هذا الأمير حياة دينية، حيث شهدت حركة التأليف[6]، رغم أنّ الأمير كانت له علاقة سيئة مع الفقيه محمد بن سحنون، توفي الأمير سنة 261هـ/875م، فكانت ولاية إفريقية لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن

---

1 ـ سعد زغلول، المرجع السابق، ص104.
2ـابن عذارى ، المصدر السابق، ج1 ، ص113، والنويري، المصدر السابق، ص 67.
3ـ يعرف بأبي الغرانيق لكثرة ولوعه بصيد نوع من الطيور وهو طائر مائي طويل القوائم والعنق، ينظر النويري ،المصدر أعلاه، ص67.
4ـ ابن عذارى ،المصدر أعلاه، ص 113.
5ـ ابن الأبار،المصدر السابق، ص 172.
6ـ سعد زغلول ، المرجع أعلاه ،ص107.

إبراهيم بن الأغلب، الذي تولي الحكم سنة 261هـ/ 875م[1]، ولقد أوضح ابن عذارى بقوله:" أتى أهل القيروان إلى إبراهيم بن أحمد ،وهو إذْ ذاك وال على القيروان، فقالوا له: قم فدخل القصر، فأنت الأمير !"[2]، عرف عن هذا الأمير أنّه بنى مدينة رقادة[3] سنة 263هـ ، واتخذها وطنا له وانتقل إليها من مدينة القصر القديم[4]، وبنى بها قصورا عجيبة[5]، كما عرض على الفقيه عبد الله بن غافق قضاء القيروان، لكنّه رفض، ومن خلال ما ذكرته المصادر على أنّه كان يهتم بالثقافة وذلك من خلال بناء المنشئات الدينية وأهمها المساجد وقصور العبّاد غير أنّ المصادر لم تذكر عمله ولا ثقافته سوى أنّه كان أحسن السيرة ،وأعماله في مجال العمران فقط ، وشهدت إفريقية في سنة 266هـ القحط والغلاء المفرط، أمّا عن وفاته كانت سنة 289هـ/902م.

انتقلت ولاية إفريقية لابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب فكانت ولايته بعد أبيه إبراهيم بن أحمد سنة 289هـ/902م، دام حكمه لإفريقية سنة واحدة، ومع هذا عُرف عنه أنّه كان يظهر العدل والإنصاف[6]، وأضاف ابن الأبار أنّه " كان شجاعا بطلا ذا بصر بالحروب والتدبير عاقلا أديبا عالما له نظر في الجدل و غاية باللغة والآداب"[7]، غير أنّ ابن عذارى قال:عنه"أنّه أظهر التقشف والجلوس على الأرض

1- سعد زغلول المرجع السابق ،ص 113.
2- ابن عذارى، المصدر السابق، ص114.
3- هي بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام ،لم يكن بإفريقية طيّب هواء ولا أعدل نسيما و أرق تربة منها، ينظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص ص55،56.
4- القصر القديم :إنّ الذي أسسه إبراهيم بن الأغلب بن سالم سنة 184هـ ، وصارت دار أمراء بني الأغلب وهي بقبلى مدينة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها بها جامع ،ينظر البكري ،المصدر السابق، ص28.
5- ابن الأبار، المصدر السابق، ص173.
6- النويري، المصدر السابق ،ص78.
7- ابن الأبار،المصدر أعلاه ،ص 174.

وإنصاف المظلوم وجالس أهل العلم وشاورهم وكان لا يركب إلى الجامع"[1]،والراجح ما أورده ابن الأبار ودليل على ذلك هو أنه كان يجيد الشعر، ومن بين مقطوعاته الشعرية، نجد شعره في دواء شربه بصقلية قائلاً:

شربت الدواء على غربة . . . بعيدا من الأهل والمنزل

وكنت إذا ما شربت الدواء ... تصيب بالمسك والمندل

فقد صار شربي بحار الدماء... ونقع العجاجة والقسطل[2]

توفي عبد الله بن إبراهيم سنة 290هـ/903م، فكانت ولاية زيادة الله الثالث، اسمه الكامل هو أبي مضر زيادة الله عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، ولي الحكم سنة 290هـ/903م[3]، هو خاتمة ملوك الأغالبة ، لم يكن أفضل من سابقيه، بحيث اشتغل باللذات ومنادمة العبّارين والشطار والزمامرة والضّراطين[4]، فكان عندما أخبار عن انتصارات الشيعي يذهب إلى الشرب أو للتسلي بغناء الجواري، وانتهى ملكهم بزوال سلطتهم سنة 296هـ/909م.

1- ابن عذارى ،المصدر السابق، ص ص133،134.
2- ابن الأبار، المصدر السابق، ص 175.
3- النويري، المصدر السابق، ص80.
4- ابن عذارى ، المصدر أعلاه، ص 135.

ثانيًا: دخول المذاهب الفقهية إلى إفريقية في عهد الأغالبة:

أصبحت القيروان منذ تأسيسها من طرف عقبة بن نافع الفهري، ومن جاء بعده من الفاتحين العرب، مركزا هاما من مراكز الثقافة الإسلامية والعربية ، ويذكر بعض المؤرخين أنه عندما نقول: أن المسلمين بدؤوا حياتهم الفكرية و العلمية من منطلق العلوم الدينية فإن علينا أن نذكر الإسلام لم يكن مطلقا مصدر ظاهرة محدودة الأفق ترتبط بركن واحد من الأركان الإسلام[1]، وبعدما انتشر الإسلام في هذه المنطقة ، عرفت القيروان ازدهارًا في الحياة الثقافية، خاصة بعد ظهور حكم الأغالبة بإفريقية، بحيث كان الإسلام قد انتشر واستقرّ على أصوله الصحيحة إلى جانب اللغة العربية، وبعد أن كانت العلوم فيها مقتصرة على بعض المبادئ الأولية في الفقه والحديث والتفسير، التي أسهم فيها بعض التابعين الذين أُرسلوا في عهد عمر بن عبد العزيز[2]، بحيث تعتبر فترة هذه البعثة الفقهية ذات أثر في نشر الإسلام وتعليم أهل المنطقة مبادئ الفقه الإسلامي[3]، فقد لعبت البعثة العمرية دورًا في إنعاش الدعوة الإسلامية وترسيخ الثقافة[4]، و كذا ظهور فرق ومذاهب فقهية بالمغرب في عهد الأموي، وقد اتبع الأغالبة من بعدهم مذهب أهل العراق بما أنّهم كانوا تابعين للخلافة العباسية بالمشرق[5] أنذاك، حيث كان المذهب الحنفي هو السائد عند

1ـ سعيد عبد الفتاح ،عاشور، سعد زغلول ، عبد الحميد ، وأحمد مختار، العبّادي ،دراسة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت ، 1985 ،ص24.

2ـ هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة القرشي الأموي، الخليفة الأموي، اشتهر بعدله وورعه، وكان تابعيًا جليلا، روى عن أنس بن مالك وغيرهم، توفي سنة 101هـ، ينظر الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، ابن الكثير الدّمشقي(774هـ) البداية والنّهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ/1998م، ج12، ص676، وما بعدها، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، ابن قنفذ ، الوفيات معجم زمني للصحابة والأعلام المحدّثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11-807هـ، حققه عادل نويهض، ط4، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص103

3ـ أوكيل، مصطفى باديس، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وأثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص100.

4ـ الطيب، بوالسعد، الحياة العلمية والثقافية في إمارة الأغالبة وعلاقتها بالخلافة العباسية 184-296هـ/800-909م،رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2001-2002م، ص182.

5ـ كان الخلفاء العباسيين لهم صلاحية تعين الأمراء الأغالبة، بحيث كانوا يرسلون الرسائل التوجيه إلى إبراهيم بن الأغلب، كما أنّ القضاء ظلّ لفترة محدودة مرتبطا ببغداد وانتهى بعد وفاة القاضي والفقيه عبد الله بن غانم الرعيني، ينظر عبد الله بن علي، الزيدي، (سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقية والمغرب 144-296هـ/ 761-908م)، مجلة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض، م العدد 18، 1426هـ/2005م، ص 127،128.

العباسيين، ويشير شارل أندري جوليان إلى هذا التطور في الحياة الثقافية خاصة بعد منتصف القرن الثاني للهجري، حيث بدؤوا في المساهمة والإنتاج الفكري، و كانت المناظرات في أصول الدين متصلة اتصالاً وثيقاً بالفقه الإسلامي المقنن لحياة المسلم دينا ودنيانا، ومن المذاهب السنِّيّة الأربعة التي يمكن اعتناقها[1] من طرف المغاربة، فنجد أكثر المذاهب انتشارًا في إفريقية هو المذهب الحنفي نسبة إلى إمام أبي حنيفة[2] المتوفى سنة 767م من المذهب المالكي نسبة للإمام مالك بن أنس[3]، المتوفى حوالي سنة 795م.

لقد ساهم كل من علماء الحنفية والمالكية خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين والثامن والتاسع الميلاديين في ازدهار الحياة الفكرية بإفريقية، خاصة عهد الأغالبة، من خلال الحلقات العلمية التي كانت تقام بجامع القيروان، كما تميّزوا بتفتحهم على العلوم المتنوعة.

تذهب جل المصادر إلى أنّ المذهب الحنفي هو السبّاق بالدخول إلى المغرب، ومع ذلك فإنّ المذهبين ـ الحنفي والمالكي ـ كانا يمارسان في نفس الفترة بإفريقية، إلاّ أنّ أهم تطور ثقافي شاهدته إفريقية في عهد الأغالبة هو انتشار المذهب المالكي و فضل يعود إلى الفقيه سحنون، بحيث فسر ابن خلدون بقوله " الذي عزا فيه أخذ المغاربة بالمذهب المالكي

1ـ شارل أندري، جوليان، تاريخ إفريقية الشمالية : تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة ، دار التونسية للنشر، تونس، 1398هـ/1978م، ج2، ص 62.

2ـ هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التميمي الكوفي، فقيه العراق وإمام أصحاب الرأي، روي عن عطاء والزهري، صاحب المذهب الحنفي، ولد سنة 80هـ/699م في الكوفة، حفظ القرآن الكريم، ثم درس الفقه، كانت له حلقة في مسجد الكوفة، توفي ببغداد سنة 150هـ/767م، ينظر أبو إسحاق الشافعي، الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، 1970م، ص86،وجلال الدين عبد الرحمان، السيوطي،(ت 916هـ/1505م)،طبقات الحفاظ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1994م، ص ص 80،81، وأحمد، تيمور باشا، المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي، وانتشارها عند جمهور المسلمين، تقديم الشيخ محمد أبو الزهرة، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، 1411هـ/ 1990م، ص 50.

3ـ هو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خيثر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني ،ولد سنة 93هـ / 711م ، في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكانت وفاته سنة 179هـ /795م في خلافة هارون الرشيد ،ينظر ابن سعد ،الواقدي (محمد بن منيع الهاشمي البضري)، طبقات الكبرى ، حققه إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، د/ت ، ج5، ص ص 465، 466. الشيرازي، المصدر السابق ، ص ص67، 68. وجلال الدين ، السيوطي ، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ص2 وما بعدها. و أحمد تيمور باشا، المرجع السابق ، ج1، ص 61 وما بعدها.

إلى البداوة الغالبة عليهم وملائمة ظروفهم لبيئة الحجاز البدوية"[1]، فهو فسر انتشار المذهب المالكي بالمنطقة يعود إلى طبيعة عقلية المغاربة لسهولته وبساطته، وميولهم الفطري إلى البساطة في كل شيء، وقد تميّز هذا العهد بأنّ معظم الفقهاء كانوا متفقهين في مذهبين معاً ، فنذكر منهم عبد الله بن غانم[2] وابن فروخ[3]، وأسد بن الفرات الذي عُرف عنه أنّه قرأ الفقه على طريقة أهل العراق، ثمّ رحل إلى المدينة و أخذ عن مالك[4]، حيث كان لهؤلاء العلماء حظ بما أنهّم التقوا بالإمام مالك بالمدينة، وفي هذا الصدد يشير المقديسي إلى الألفة التي كانت تطبع أتباع المذهبين الحنفي والمالكي بمدينة القيروان بقوله: "... هي فرضة المغربين ومتجر البحرين لا ترى أكثر مدنها ولا أرفق من أهلها، ليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية..."[5]، وحسب رأيه أنّ المالكية والحنفية في إفريقية كانوا على ألفة، فكان المذهبان يمارسان نشاطهما بالقيروان، برغم من دعم حكام الأغالبة للمذهب الحنفي، لأنّه كان المذهب الرسمي الدولة العباسية، غير أنّ القاضي عياض خصّ بالذكر قوله أنّ : " وأما إفريقية وما ورائها من المغرب، فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد[6]، وابن

---

1. عبد الرحمان ،ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي، 1952، ص ص 120، 121.

2. هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شراحبيل ،يُكنّى بأبي عبذ الرحمان من إفريقية، فسمع من مالك ومن سفيان الثوري وغيرهم، ولي القضاء بعد ماتع بن عبد الرحمان ،ولاه روح بن حاتم سنة 171هـ، وظهر فقهه في قضاء إفريقية، توفي سنة 190هـ / 805م ، ينظر أبو العرب، (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ / 944م) ، طبقات علماء إفريقية وتونس ، تقديم وتحقيق علي الشابّي،ونعيم حسن اليافي، ط2، دار التونسية للنشر، تونس ، 1985 م ، ص ص 42 ،43. والخشني، (أبي عبد الله بن الحارث بن أسد القيرواني الأندلسي (ت 361هـ)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، نشره وصححه وراجع أصله السيّد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي، ط2 ،القاهرة ، 1415هـ/ 1994م، ص304.

3. هو أبو أحمد عبد الله بن فروخ الفارسي ،فقيه القيروان ،ولد بالأندلس ،ثم انتقل إلى القيروان ،ثم رحل إلى المشرق، تلقى العلم عن مالك وأبي حنيفة و سفيان الثوري، ولاّه روح بن حاتم القضاء مكرها فجعل يبكي ويستعفي الخصوم ويسترحم ،فأعفاه من القضاء،ينظر أبو العرب ، المصدر السابق ، ص 45. و الخشني ، قضاة قرطبة المصدر السابق، ص304.

4. أكيل مصطفى، المرجع السابق، ص101.

5. شمس الدين، المقديسي، (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي ، المعروف بالبشاري (ت 387هـ / 997م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،دار الإحياء الترث العربي ، بيروت ، 1408 هـ / 1987م ، ص 186.

6. هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي، من قبيلة عبس، كان ثقة مأمونا متعبدا بارعا في الفقه سمع من مالك والثوري، ولم يكن في عصره بأفريقية مثله سمع منه البهلول وسحنون و أسد بن الفرات روى عن مالك الموطأ وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه، ينظر أبي بكرعبد الله بن محمد ، المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء

الأشرس[1]والبهلول[2]، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم، في إدخال مذهب مالك بن أنس، فأخذ به الكثير من الناس ولم يزل ينتشر إلى أن جاء سحنون، فغلب في أيامه وفضّ حلق المخالفين، واستقرّ المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار"[3]، و من خلال ما ذكره نفهم أنّ في عهد سحنون كان المذهب المالكي قد غلب في أيّامه بعدما شرّد أهل الأهواء من إقامة الحلقات بالجامع القيروان، وهكذا أصبح المذهب المالكي هو المذهب السائد في المنطقة.

إنّ انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب يعود إلى الجهود المبذولة من طرف العلماء والفقهاء الأوائل بالمدينة القيروان منذ بداية القرن الثاني للهجري، إذْ شهدت القرون الأولى للهجري تحولاً جذرياً وهو تحول المغرب إلى بلاد إسلامي سنّي مالكي المذهب، وظهور المذهب المالكي، ثم انتشاره لم يكن وليد عصر الأغالبة، فقد انتشر في البلاد قبل الأغالبة، غير أنّ عصرهم شهد الانتصار لهذا المذهب وسرعة انتشاره في بلاد المغرب[4]. لقد فضّل المغاربة المذهب المالكي على المذهب الحنفي، رغم دعم أمراء الأغالبة للمذهب الحنفي بحكم أنّه مذهب الخلافة العباسية ، ولقد وجدنا ابن خلدون فسرلنا سبب تبني المغاربة للمذهب المالكي بقوله: "أنّ أهل المغرب بعيدون عن الصنائع، ولذلك فإنّ منتهى رحلتهم كانت الحجاز التي يسود فيها المذهب المالكي، وليس العراق الذي كان يعج بأنواع الصناعات وأصناف التجارات فضلاً عن كونه موئلاً لمختلف

القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيّر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ،ج1 ، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي ،دار الغرب الإسلامي ، ط 2، 1414هـ / 1994م،ص 234وما بعدها، ابن فرحون المصدر السابق، ص 292.والشيرازي، المصدر السابق، ص126،والقاضي عياض،المصدر السابق ، ج1،ص 328، و الخشني ، طبقات علماء إفريقية، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب،ط1 ، مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1413هـ / 1993م،ص 98.

1ـ هو عبد الرحيم بن أشرس وقيل اسمه العباس ،وقيل عبد الرحمان ،وهو أنصاري من العرب ثقة فاضل ، سمع من مالك ،وروى عنه ابن القاسم ، ينظر ابن فرحون ، المصدر السابق ، ص 250.

2ـ البهلول بن راشد هو أبو عمرو من أهل القيروان ،ولد سنة 128هـ ،يعد من الطبقة الأولى من أصحاب مالك كان ثقة مجتهداً ،ورعاً ، مستجاب الدعوة، كان عنده علم كثير ،سمع مالك والثوري والليث وغيرهم ،سمع منه سحنون وجماعة، روى عنه القعبني عبد الله بن سلامة قال:" هو وتد من أوتاد المغرب " ، توفي 128 هـ وقيل 183هـ ، ينظر ابن فرحون ، المصدر أعلاه ، ص 166، الخشني ، طبقات علماء المصدر أعلاه ، ص81.

3ـ القاضي عياض، المصدر أعلاه، ص ص 25،26.

4 ـ نشيدة ، رافعي ، الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي 296 ـ 362هـ، رسالة لنيل دكتوراه ، إبراهيم ،فخار، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،2002-2003م، ص195.

المذاهب"[1]، ومن هنا تبيّن لنا أنّ المغاربة كانوا يريدون التعرف على أصول الدين الإسلامي، من خلال المسائل الاجتهادية التي ذهب إليها الإمام مالك وما كان منصوص عليها في الكتاب الله والسنّة نبيّه[2] وربما إلى شخصية مالك الذي عرف عنه تمسكه بمصادر التشريع الإسلامي.

كما أُدخل المذهب الشافعي[3] إلى المغرب عن طريق العلماء الذين كانوا يرحلون إلى المشرق، وكان بمدينة القيروان قلة من أتباع هذا المذهب الذين أخذوا به[4]، كما وصل إلى القيروان كذلك المذهب الحنبلي، بحيث ذكر عياض أنّ سحنون قال كان بيننا رجل من أهل المشرق من أصحاب ابن حنبل[5] قدم علينا وكنا نسمع منه[6]. كما عرفت إفريقية في أيامهم نوعاً من الحركة الفكرية تجسد في تمكين أتباع المذاهب والفرق المخالفة من إقامة الحلقات بجامع[7] القيروان، من الخوارج معتزلة[8].

1- ابن خلدون، المصدر السابق ،ص188.

2- أبو الأجفان، المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان، بحوث الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب البغدادي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1425هـ/ 2004، ص 212.

3- المذهب الشافعي نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي ولد سنة 150هـ/767م باليمن، ومذهبه ثالث المذاهب السنيّة، فقد مزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق (المالكي، والحنفي)، توفي سنة 204هـ/819م، ينظرأحمد تيمور، المرجع السابق، ص75، والشيرازي، المصدر السابق، ص86.

4- أحمد تيمور، المرجع أعلاه، ص71.

5- هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، ولد سنة 164هـ/ 780م ببغداد، وهو إمام المذهب الحنبلي رابع المذاهب السنّية، توفي 241هـ/ 855م، ينظر الشيرازي، المصدر أعلاه، ص19، وأحمد تيمور، المرجع أعلاه، ص88.

6- عياض، المصدر السابق، ج2، ص 613.

7 - نجم الدين، الهنتاتي، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان ، تونس ، 2004، ص 15.

8- هم أتباع واصل بن عطاء الغزالي، ويسمون أنفسهم بأهل التوحد والعدل، وأصولهم خمسة: التوحيد والعدل والوعيد المنزلة بين المنزلتين، وأخيرا مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ينظر أبو الفتح محمد ، الشهرستاني(548هـ/1153م)، الملل والنجل، تحقيق أمير علي مهفا، وعلي حسن فاغور،ط3، دار المعرفة ، بيروت، 1993م، ص56 وما بعدها.

ثالثًا: المناظرات والحلق العلمية بالقيروان في عهد الأغالبة:

كانت تقام بمسجد القيروان[1]مجالس علمية للتدريس قائمة على تدرس علوم القراءات تفسير القرآن الكريم وحفظه، وعلم الحديث والفقه والتشريع، وإذا كانت الحركة الثقافية في المغرب في عصر الأغالبة يغلب عليها العلوم الدينية، بحيث كان العلماء يقيمون بمسجد الجامع حلقات لتدريس، كما نجد معظم هؤلاء العلماء أنشئوا المدارس أطلقوا عليها اسم دور الحكمة[2]، ومن بين المجالس التي عرفها القيروان مثلا مجلس سحنون الذي كان يحضر عنده طلابه من أمثال محمد بن عبدوس(ت260هـ/873م)[3]، وقد عمت المساجد إقليم إفريقية، خاصة القيروان التي كانت تعج بالمناظرات والحلقات العلمية المتنوعة، بالإضافة الكتاتيب التي كان يقصدها الصغار، وهذا راجع لاهتمام الأمراء الأغالبة بالعلم والعلماء بإفريقية الذين أعطوا الأمثلة الطيّبة على وجه العموم، فاجتنبوا التعرض لهؤلاء الشيوخ، بل عملوا على مداراتهم واكتساب رضاهم[4]، والدليل على ذلك أنّ الأمراء الأغالبة قاموا بتنصيب وظيفة قضاء القيروان للعلماء وشيوخ القيروان أمثال أبا محرز[5]،وأسد بن الفرات وسحنون بن سعيد وعيسى بن مسكين وغيرهم.

أمّا فيما يخص المناظرات، فلقد ساهم أمراء الأغالبة في تشجيع الحياة الفكرية، حيث كانوا يشرفون على المناظرات، وأغلب هذه المناظرات كانت تقوم بين فقهاء المالكية وفقهاء الحنفية[6]، وكان عهد أسد بن الفرات في ولايته عهدا كثرت فيه

1ـ مسجد القيروان قد تقدم أنّ أول من وضع محرابه وبناه عقبة بن نافع ، ثمّ هدمه حسان بن نعمان حاشى المحراب وبناه وحمل إليه الساريتين الحمراوين الموشاتين بصفرة اللتين، فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على القيروان يعلمه أنّ الجامع يضيف بأهله، أنظر البكري ، المصدر السابق ، ص ص 22،23.

2ـ حسن أحمد، محمود ،الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقية ،ج 1، القاهرة، 1963، ص 155.

3ـعياض، المصدر السابق، ج3، ص119.

4ـ سعد ،زغلول، المرجع السابق، ج2، ص517.

5ـ هو أبا محرز محمد بن عبد الله بن قيس من فقهاء الحنفية بالقيروان، كان فاضلا ورعا فصيح اللسان، ولاه زيادة الله بن الأغلب قضاءها مشاركة مع أسد بن الفرات ،أنظر أبو العرب، المصدر السابق ،ص ص 166،167.

6ـ هيثم بن سليمان، القيسي، أداب القاضي والقضاء ،تحقيق فرحات ،الدشراوي ،الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د ت ،ص ص8،9.

المناظرات والمساجلات العلمية بين الفقهاء وحدهم وبين الفقهاء وأصحاب المقلات العقائدية[1]، ومن بين المناظرات التي كانت تقام بين الفقهاء، وقد ذكرها الدباغ عن تلك المناظرة التي قامت بين الفقيه البهلول و الفقيه التونسي علي بن زياد حول رواتب الجنود، حيث ذكر أنّها كانت مناظرة بين البهلول بن راشد وعلي بن زياد التونسي حول رواتب الجنود هل هي حلال أم حرام ؟ ، فحرمها البهلول بينما حللها علي بن زياد، باعتبارها حق لهم من بيت المال حتى وإن أشترط عليهم أن يفعلوا أمورا محرمة، فرواتبهم حلال والشرط المفروض عليهم باطل"[2] ، ويبدو أنّ هذه المناظرة التي كانت محل نقاش بين الفقهاء لم تنشأ من عدم، وربّما نشأة كرد فعل على بعض الأفعال أو الأعمال التي قام بها الجند، فلم يرض عنها الفقهاء،وخاصة أنّ الزهد والتعبد غلبت على بعض من الفقهاء القيروان في ذلك الوقت ،فهذه الحركة المتجلية في تلك المناظرات أدت إلى تقدم الحياة الفكرية وازدهارها، مما جعل العلماء القيروان يقارنون بغيرهم من العلماء الفقهاء، كما حصلت المناظرات بين عدد من الفقهاء المذهب الحنفي والمالكي، وكان بعض المناظرات تتم بإشراف الأمراء الأغالبة ،منها المناظرة التي ذكرها أبو العرب "أنّ عبد الله بن أبي حسان الذي قال: دخلت على زيادة الله بن إبراهيم فأصبتُ عنده أسد بن الفرات وأبا محرز، وهما يتناظران في النبيذ المسكر وأبو محرز يذهب إلى تحليله وأسد يذهب إلى تحريمه[3]، يبدو أنّ هذه المناظرات كانت تقام في قصور الحكام الأغالبة بإذن من الأمراء الأغالبة، وعندما انتشرت فتنة القول بخلق القرآن،وقد ورد في قوله تعالى:{ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اَلْلَّطِيفُ اَلْخَبِيرُ}[4] ، وامتحن فيها عدد كبير من الفقهاء والعلماء خاصة المالكية منها، ففي هذه الفترة حدثت عدّة مناظرات في إفريقية، والدليل على ذلك أنّه عندما قدم الفقيه عبد الله بن محمد الأشج[5] (ت 286هـ/899م) إلى

1ـ نشيدة ،رافعي ، المرجع السابق ، ص ص 201، 202.
2ـ الدباغ، المصدر السابق ، ج1، ص275.
3ـ أبو العرب ، المصدر السابق، ص158.
4ـ سورة الملك، الأية 14.
5ـ هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن الأشج، الفقيه الحنفي رحل إلى المشرق أخذ علمه عن علمائها، كان عارفًا بطرق المناظرة على طريقة أهل العراق، توفي 286هـ، ينظر الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص232.

القيروان، وجد أهل إفريقية يتجادلون في الأسماء والصفات الله التي أثارها أتباع الاعتزال، فسأل عمّا يتكلم فيه النّاس اليوم ؟ فقيل له: في الأسماء والصفات[1]، وهذا وإن دلّ على شيء، فإنّه يدل على مدى انتشار الجدل والمناظرات في المسائل العقدية ببلاد المغرب[2]، ويبدو أنّ إفريقية شهدت عدّة مناظرات التي كانت تعقد فيما يخص المسائل الفقهية والعقائدية التي أُختلف فيها الفقهاء المالكية والحنفية، كما ساهمت فتنة "القول بخلق القرآن" التي أثرها أصحاب الإعتزال بإفريقية مظهراً آخر من المناظرات، حيث راح ضحيتها العديد من فقهاء القيروان، خاصة فقهاء المالكية.

لقد تميّزت إفريقية في فترة حكم الأغالبة بتطور وازدهار الحياة الثقافية والفكرية، وقد تجلى ذلك في المساهمة الحكام الأغالبة في انتعاش الحياة الثقافية بالقيروان، خاصة بدخول المذاهب الفقهية، لأنّ الأمراء لم يتعرّضوا لهؤلاء الشيوخ وفقهاء القيروان ، كما كان بعض الأمراء الأغالبة يشرف على المناظرات التي كانت تقام بها، إضافة إلى تولية بعض الفقهاء وظيفة قضاء إفريقية.

1ـ الخشني، طبقات علماء المصدر السابق، ص220.

2ـ علي، الإدريسي، الجدل الفكري في القيروان من خلال كتاب رياض النفوس للمالكي، الاتجاهات الكلامية في المغرب الإسلامي، منشورات كلية الآداب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، دار البيضاء، 2005، ص 127.

الفصل الثاني: مولد ونشأة الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي العلمية.

أولاً: نشأة الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي.

ثانيًا: رحلاته العلمية.

ثالثًا: أهم شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم.

أولاً: نشأة الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي:

عرفت الفترة التي سبقت مولد سحنون نشاطاً ثقافياً كبيراً، وهي الفترة التي حكم فيها المهالبة بلاد إفريقية، وهذا راجع إلى الولاة من هذه العائلة أنفسهم، حيث تخرّج على أيديهم الطبقة الأولى، أمثال: ابن زياد وابن غانم والبهلول، وعنهم أخذ سحنون علمه بالقيروان.

واسم سحنون الكامل هو عبد السلام أبو سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة[1] التنّوخي[2]، المعروف باسم سحنون[3]، يتفق كل الذين ترجموا له أنّ أباه من جند حمص، حيث تذكر المصادر أنّ أباه قدم مع جند حمص بالشام، بحيث أورد أبو العرب " أنّه من صليبة[4] العرب وأصله من الشام من أهل حمص، وأبوه سعيد قدم مع الجند "[5]، غير أنّ المالكي، وابن خلكان ، وابن كثير الدمشقي يذكرون أنّه" قدم به أبو سعيد مع جند أهل حمص[6]، إذا كان أبوه قدم به مع جند إلى إفريقية ، ومع العلم أن مولد سحنون كان في سنة 160هـ /774م، ومن هنا نفهم أنّ إذا كان دخول جيش إلى إفريقية في سنوات القليلة بعد سنة ولادته ، فمن المعلوم أنّ في هذه السنة لم يذكر أي دخول للجيش[7] إلى إفريقية، ومن

---

1 ـ المالكي ،المصدر السابق، ج 1 ،،ص 345. وأبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ابن خلكان، (ت 681هـ)، وفيات والأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، مجلد 3 ،دار صادر، بيروت ،1970، ص 180.

2ـ التنّوخ: بفتح التاء وضم النون ،ثم خاء معجمة ،قال الجوهري ولا تشدد النون ،وقال هم من اليمن ، يعني من القحطانية، ولم يزد على ذلك. وقال ابن سعد : ومن الناس من يطلق على الضجاعمة ودوس الذين تنخوا بالبحرين ،وقد ذكر الحمداني: أنّ المدبرة من بلاد الشام هي صليبة تنوخ، بمعنى أنّ بها جمعهم المستكثر، من قبيلة العرب الشام أصلها من اليمن، ينظر القلقشندي، المصدر السابق، ص189.

3ـ سحنون: بفتح السين المهملة وضمها وسكون الحاء المهملة ،وضم النون وبعد الواو نون ثانية ،وسحنون لقب له وسمي باسم طائر حديد لحدته في المسائل ،قد جمع الناس أخباره مفردة ومضافة، ينظر ابن خلكان، المصدر أعلاه، ص182، وابن فرحون، المصدر السابق ،ص 263.

4ـ الصُّلْبُ والصُّلَبُ عظيم من لدن الكامل إلى العجب والجمع أصْلٌ و أصلابٌ وصِلَبَةٌ جمع لأنّه كل جزء من صلبة صلبا، وحكى الحيّانيُّ عن العرب هؤلاء أبناء صلبتهم والصُّلْب من الظهر، وكل شيء من الظهر فيه فقار، فذلك الصلب والصلب بالتحريك، ينظر ابن منظور، المرجع السابق، المجلد 4، ص ص 2475،2476.

5ـ أبو العرب، المصدر السابق، ص 184.

6ـ المالكي، المصدر أعلاه، ج1، ص346، وابن خالكان، المصدر أعلاه ،ص181، ابن كثير القرشي، المصدر السابق، ج 14، ص 374 .

7ـ إنّ في هذه السنة لم يدخل جيش إلى إفريقية، وكان آخر دخول لجند إفريقية في ولاية يزيد بن حاتم، بعد مقتل عمر بن حفص المهلبي في حروب الخوارج عام 155هـ/771م، ينظر، بوبة ، مجاني ، أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار بهاء الدين لنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،1430هـ/ 2009م ، ص ص165،166.

خلال ما ذكرته نستنتج أنّ سحنون بن سعيد ولد بالمغرب وليس بالمشرق ، بينما يعود أصله إلى الشام من قبيلة تنوخ ، والدليل على هذا هو ما ذكرته المصادر عن ابنه محمد[1]بن سحنون سائلا أبيه قائلا: " يأبت أنحن صليبة من تنوخ؟ فقال: لي وما تحتاج إلى ذلك ،فلم أزل به، حتى قال لي: نعم ،وما يغني عنك ذلك من الله شيئا إن لم تتّقه"[2]، كما ذكر القاضي عياض نقلا عن أبي العرب قال: سمعتُ محمد بن أبان[3] وقد قيل له أكان سحنون من العرب صليبة أو من الموالي؟ فقال: إنّ سحنون قد أخذ الناس عنه دينهم وصدقوه في الدين وائتمنوه عليه، وقد قال: إنّه من العرب، فكيف لا يصدقونه في نسبه؟ "[4] ، وهذا دليل آخر على أنّ سحنون من قبيلة تنوخ، غير أنّه ولد بقرية بإفريقية[5]، لأنّ قبيلة تنوخ لا توجد بإفريقية ولا حتى بالمغرب، ولقد أوضح ذلك المالكي بما قال عيسى بن مسكين[6]: "ولد سحنون في قرية يقال لها مزنانة الشرق، وأعرف البيت الذي ولد فيه"[7]، وإذا اعتبرنا أنّ ما قاله عيسى بن مسكين عن شيخه سحنون صحيح، إذا فإنّه ولد بإفريقية.

تلقى سحنون علومه الأولى في الكتاتيب شأنه في ذلك شأن غيره من الصبيان في ذلك الحين، ولما أنس فيه استعداداً للدرس والتحصيل عندما شبّ عُوده أعانه أبوه وكبار

1- هو أبو عبد الله محمد بن سحنون وهو من رجال القيروان، سمع من أبيه وموسى بن معاوية الصمادحي، وحج فلقي أبا المصعب بالمدينة وسلمة بن شبيب وغيرهم، كان منسوبا إلى العلم ،ولكنّه غلبت عليه العبادة وكان جليل القدر بحديثه وقديمه أو كانت له أوضاع في المناظرة في الفقه الفقهاء وفي كلام المتكلمين ، ينظر الخشني ، قضاة قرطبة المصدر السابق ،ص ص 178،219،256.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 350، وابن فرحون، المصدر السابق، ص263.

3- هو محمد بن أبان الحميري، أبو جعفر، فقيه قيرواني سمع من أئمة المدنيين والعراقيين، سمع من سحنون وعون بن يوسف ويحي بن سليمان الحفري ومعمر بن منصور، أراد إبراهيم بن الأغلب أن يوليه القضاء، توفي 284هـ، ينظر الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص200.

4- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص346.

5- رابح ، بونار،المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشريكة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1968، ص 75.

6- هو عيسى بن مسكين بن منصور ،سمع من سحنون بالقيروان وسمع بمصر من الحارث بن مسكين ومحمد بن المواز وغيرهم ، كان رجلاً صالحا فاضلاً، طويل الصمت ،رقيق القلب ،متفننا في العلوم، ولي القضاء فكان زاهدا محمودا ، أقام قاضيا نحو الثمانية أعوام ، ثم عزل عند خروجه إلى صقلية، ينظر أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن ، النباهي المالقي الأندلسي ،تاريخ قضاة الأندلس ،تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديدة ،بيروت ، 1403 هـ/1983م،ص 30 وما بعدها، الخشني، قضاة قرطبة المصدر أعلاه،ص308.

7- المالكي ،المصدر أعلاه ،ص 346.

مشايخ إفريقية وعلمائها أنذاك[1]، كان من المهتمين بالحديث والفقه، حيث بدأ يحضر حلقات العلمية عند كبار فقهاء القيروان بمسجد الجامع من أمثال البهلول بن راشد وأبي مسعود بن أشرش وعبد الله بن غانم و عبد الله بن فرّوخ ومعاوية الصمادحي[2]، وأخيه حبيب[3]، فأخذ علمه أولا على هؤلاء العلماء بالقيروان[4] ويصف أبو العرب سحنون بأنّه " كان جامعا للعلم، فقيه البدن، اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا ،والتخشن في الملبس، والمطعم والسماحة والترك ألاّ يقبل من السلطان شيء"[5] ، لقد اتفقت معظم المصادر على أنّه رحل إلى المشرق من أجل طلب العلم وأخذه عن مشايخها، بحيث "سئل أشهب عمن قدم إليكم من أهل المغرب؟ قال: سحنون قيل له: فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة، وقال أيضا: ما قدم ألينا من المغرب مثله. وقال ابن القاسم ما قدم إلينا من إفريقية مثل سحنون"[6]، وعند عودته سنة 191هـ/807م، أخذ مكانه في القيروان، جلس للقراءة في مسجد القيروان وشارك في تعليم الصبيان ،وحفظ القرآن الكريم وإقامة الصلاة، قال الله تعالى:{وَأَنْ أَقِيمُواْ الْصَلاَةَ وَاْتَّقُوهُ وَهُوَ الَذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونْ}[7]، ولقد ذكر أبو العرب أنّ حمديس القطّان[8] ذكر أنّه

1- محمد ،زينهم محمد عزب ،الإمام سحنون ،تقديم حسين ،مؤنس، دار الفرجاني ، القاهرة ، 1992، ص 65.

2- هو أبو عون معاوية بن الفضل من أهل إفريقية ، وكان ثقة قليل الحديث ،ذكر أبو إسحق بن شعبان القرطبي أنّه روى عن مالك وعن ابن أنعم وعن الثوري ،وروى عنه سحنون وروى عنه ولد نفسه موسى وأبو داود العطار، ينظر المالكي، المصدر السابق ،ج1 ،ص 231.

3- هو أخ لسحنون وأسن منه ، كان فقيها ، صالحا ، سمع من أسد بن الفرات وعبد الرحمان بن أنعم وعبد الله بن فروخ وابن أبي زياد بن زرعة والبهلول بن راشد وغيرهم ، الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص104،105.و بوبة، مجاني، المرجع السابق ،ص166.

4- أبو العرب ،المصدرالسابق، ص179،180، ابن فرحون، المصدر السابق ، ص 263، والدباغ ، المصدر أعلاه، ج 2،ص68.

5- أبو العرب ، المصدرأعلاه، ص184.

6- ابن فرحون، المصدر أعلاه، ص 264.

7- سورة الأنعام، الآية 72.

8- هو أبو جعفر حمديس بن محمد القطان ،كان عالما في الفضل ومثلا في الخير مع صلابة شديدة في مذاهب السنّة وغلوّ عظيم في التجنّي على من ينحرف عن طريقة أهلها ، وكان قد لهج الناس بفضله، وأقرّوا بخيره، وكان من أصحاب سحنون ومن المعدودين في رجاله ، ابن فرحون، المصدر أعلاه، ص178، والخشني، قضاة قرطبة المصدر السابق، ص197.

سمع سحنون ابن سعيد يقول: سمع مني العلم سنة إحدى وتسعين ومائة أهل أجدابية[1]، وفي تلك السنة مات عبد الرحمان بن القاسم"[2]، وهذا دليل على أنّ سحنون بدأ في تدريس الطلاّب منذ رجوعه من المشرق، ثم بدأ نجمه يصعد تدريجيًا عندما كان يحضر الحلقات الفقهية والعلمية التي كانت تعقد في المساجد وبيوت الفقهاء والعلماء[3]، وكان يبدي آراءه في بعض المسائل التي كانت تدور بين الفقهاء في ذلك الوقت، وفي هذا الشأن ذكر ابن قنفذ أنه انتهت إليه رياسة العلم بالمغرب[4]، وقد تتلمذ على يديه الكثير من الطلاب من المغرب وحتى من الأندلس، وعنه انتشر علم مالك وبمدوّنته حفظ هذا المذهب بالمغرب الإسلامي، هذا فيما يخص حياته العلمية، لكن فيما يخص حياته الخاصة لم تذكر لنا لا المصادر ولا المراجع عنها في شيء سوى بعض الإشارت، أنه كان متزوج ولديه ابن اسمه محمد الذي ورث عن أبيه خلقه وعلمه، وبنت اسمها خديجة[5]، كانت من أهل الفقه.

توفي سحنون (رحمة الله عليه)، في صدر شهر رجب سنة 240هـ ودفن من يومه، وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب[6] (226- 242هـ/ 838 - 856م)، بحيث ذك المالكي في رواية أنّ عيسى بن مسكين قال: " توفي في رجب لسبعة أيام مضت منه، قبل صلاة الظهر سنة أربعين ومائتين، ودفن بعد صلاة العصر، وكان الذي صلى عليه محمد بن الأغلب في مصلى باب نافع، وقبره معروف ومشهور رضي الله تعالى عنه"[7]، وبرغم ما ذكره لنا تلميذه إلاّ أنّه يذكر أين يوجد قبره، ويبدو أنّه دفن في مكان يقال له باب نافع.

1ـ أَجْدابية:جمع جدب، جمع قلة، ثمّ نزلوه منزلة المفردة لكونه علما فنسبوا إليه، وهو بلد بين برقة وطرابلس الغرب، وأجدابية بلدة مدينة كبيرة في صحراء أرضها صفا وآبارها منقورة في الصفا طيّبة الماء، وبها جامع، وهي بلدة موجودة جنوبي بني غازي، ينظر البكري، المصدر السابق، ص5، وياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 100، اليعقوبي، المصدر السابق، ص 64، أبي القاسم، ابن حوقل، المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن، بمطبع بريل، 1872م،ص 44.

2ـ أبو العرب، المصدر أعلاه، ص ص 186،187.

3- محمد زينهم،المرجع السابق ، ص71.

4ـ ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 174.

5ـ ينظر حسن حسيني، عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، د/ط، تونس، 1353هـ، ص23.

6ـ النباهي، المصدر السابق، ص30.

7ـالمالكي ، المصدر السابق، ص347.

ثانياً: رحلات سحنون العلمية :

لقد عُرف عن سحنون أنّه كان شغوفا بالعلم، وكان لا يتردد في الذهاب إلى شيوخ القيروان لمعرفة المزيد عن فقه المالكي، فلما أراد سحنون المزيد من العلم، أشار عليه معلمه علي بن زياد بالذهاب إلى المدينة المنورة موطن الإمام مالك ومعقل الفقهاء والعلماء[1]، ولقد أختلف المؤرخين في تاريخ رحيله إلى المشرق، فكان رحيل سحنون لطلب المزيد من العلم وسنّه لم يتجاوز الثمانية عشر سنة، وذلك حسب ابنه محمد، الذي قال : بأن أباه خرج إلى مصر أول سنة 178هـ ، في حياة مالك[2]، فحين وجدنا في رواية أخرى أنّه رحل في طلب العلم أول سنة 188هـ[3]، ولقد عرف عن سحنون أنّه كانت له رحلة إلى المصر سنة 188هـ/803م[4]، واتصل بابن القاسم[5]، فأخذ عنه وعن غيره من طلبة مالك بن أنس، ثمّ اعتمد عليه في الفقه[6]،ومهما كانت سنة رحيل سحنون إلى المشرق، لم تُتَحْ لسحنون فرصة التقاء بالإمام مالك لأنّه توفي سنة 179هـ/795م[7]، وإنّما التقى بكبار تلامذة مالك في ذلك الوقت وأخذ عنهم أصول الفقه المالكي، وربّما قد تكون لي سحنون بن سعيد رحلتان الأولى كانت في سنة 178هـ/794م، حسب ما ذكره ابنه محمد، وأما الدليل الثاني على ذلك ما قاله سحنون وهو عند ابن القاسم :" كنتُ عند ابن القاسم وجواباته ترد عليه،

1- محمد ،زينهم، المرجع السابق، ص66.
2-الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 79.
3- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص348.
4- سعدي ، أبو حبيب، سحنون مشكاة نور وعلم وحق ، دار الفكر ،ط1 ، سورية - دمشق، 1401هـ/1981م، ص 26،و سعد ،وغلول، المرجع السابق،ص 86.
5- هو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بالولاء ،يكنى بأبي عبد الله وهو مولى زيد بن الحارث العتقي، الفقيه المالكي،جمع بين الزهد والعلم ، وتفقه بالإمام مالك نظرائه ،وصحب مالكًا عشرين سنة، وانتفع به أصحاب مالك من بعد موته ،وهو صاحب المدوّنة في مذهبهم ،وعنها أخذها سحنون ، اختلف في تاريخ ولدته ، قيل 128ه ،وقيل 133هـ ،أما عن وفاته فكانت سنة 191هـ ، ينظر أبو الفلاح عبد الحي ، ابن العماد الحنبلي (ت1089هـ) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب القدسي، القاهرة ،1350هـ، ج 1، ص329، وابن خلكان ،المصدر السابق، ج 3، ص 129.
6-رابح، بونار، المرجع السابق، ص 74.
7-الشيرازي، المصدر السابق ،ص68.

فقيل له، ما منعك من السماع منه؟ قال: قلة الدراهم، وقال مرة أخرى لحا الله الفقر، فلولاه لأدركت مالكاً"[1]، وهل يعقل أن يكون المال هو السبب الذي منع سحنون من الأخذ عن مالك؟ والراجح أنّه لم يأخذ عن مالك لأنّه لم يدركه، فهو قد خرج لطلب العلم في عام 178هـ/ 794م، والإمام مالك قد توفي سنة بعد خروج سحنون من إفريقية، بحيث ذكر ابن قنفذ " جاء في رواية لمحمد بن سحنون أنّ أباه ذهب إلى مصر سنة 178هـ ، ليتلقي العلم على تلامذة مالك، وكان قدومه إلى مصر في السنة السابقة على موت مالك ، ثم أدى فريضة الحج ، وهو يأخذ على أبرز أصحاب الإمام مالك"[2]، أما الدليل الثاني على عدم كون المال هو السبب لأنّه قام برحلة استغرقت مدة طويلة إلى مصر والحجاز، وأما الثانية في سنة 188هـ/ 803م، حسب ما ذكرته المصادر، ولكن لم تذكر أنّ لسحنون رحلتان، ربّما يمكن اعتبار حج سحنون مع شيوخه ابن القاسم وابن وهب[3] وأشهب[4] في مرة واحدة، وكان زميل ابن وهب على رحلته[5]، فهي السنة التي تحدثت عنها جل المصادر، وإلاّ قد نعتبر أنّه كانت له رحلة واحدة في سنة 178هـ/ 794م، بدليل ما قال ابنه محمد بن سحنون.

1- ابن فرحون، المصدر السابق، ص263.

2- ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص174.

3- هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم، القرشي بالولاء الفقيه المالكي المصري، مولى ريحانة، مولاة أبي عبد الرحمان بن يزيد بن أنيس الفهري، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: " ابن وهب عالم، صالح، فقيه، كثير الحديث،صحيح الحديث، ثقة،صدوق، يفضل من العرض والحديث ما أصح حديثه"، كان أحد أئمة عصره وصحب الإمام مالك بن أنس عشرين سنة وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير اختلف في تاريخ ولادته وقيل 124هـ، أما عن وفاته فلقد توفي سنة 197هـ،ينظر ابن خلكان، المصدر السابق،ج 3، ص 36،والقاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 422، السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1 ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،1387هـ/1967م، ص 302.

4- هو عمرو أشهب بن عبد العزيز داود بن إبراهيم القيسي ،ثم الجعدي، الفقيه المالكي المصري، تفقه على يد الإمام مالك، ثم على أهل المدينة وأهل مصر ، وقال ما رأيت أفقه من أشهب ولا طيش فيه، وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم، وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم ولد بمصر 150هـ، أما أبو جعفر بن الجزار قال: ولد سنة 140هـ، وتوفي سنة 204هـ، ينظر القاضي عياض، المصدر أعلاه، ج2، ص 447، وابن فرحون، المصدر أعلاه، ص99، الشيرازي، المصدر السابق، ص126، وابن خلكان، المصدر أعلاه ، ج 1، ص126.

5- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص78.

ولقد عُرف عن سحنون أنّه حجّ حجةً واحدةً رفقة شيوخه من مصر، بحيث "قال سحنون: لما حججنا كنت أزامل ابن وهب ، وكنت في الشق الأيمن ،وكان أشهب يزامله يتيمه، وكان ابن القاسم يزامله ابنه موسى أبو هارون"[1]، نفهم من هنا أنّ سحنون استغل حجه رفقة شيوخه من مصر أجل الاستزادة في العلم ، بحيث كان في كل مرّة يسأل ابن القاسم في أصول الفقه وغيرها من العلوم، حيث يقول سحنون في هذا الشأن : " فكنت إذا نزلت إلى ابن القاسم أسئله من الكتب وأقرأ عليه إلى قرب الرحيل"[2]، ولذلك نجده ينصح ابنه محمد من خلال ما قاله: قال أبي :" إذا أردت الحج فأقدم طرابلس ، وكان فيها رجال مدنيون ، ثم مصر، وفيها الرواة ، ثم المدينة ـ وفيها مالك ، ثم مكة واجتهد جهدك، فإن قدمت عليّ بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فاعلم أنّ شيخك كان مفرطاً" [3]، هذا دليل على أنّ سحنون ذهب إلى المشرق قصد العلم ، ولكن رافق شيوخه بمصر لما قرّروا الذهاب للحج، فحضي سحنون بفرصتين أولها طلب العلم من مختلف المناطق المشرق الإسلامي، وثانيها أداء فريضة الحج، أي ضرب عصفورين بحجر واحد.

ولما قرر سحنون بن سعيد العودة إلى موطنه طلب منه ابن القاسم البقاء في مصر من أجل الاستزادة في العلم واستنفاع أهل مصر بعلمه، بحيث قال ابن القاسم لابن راشد: " قل لصاحبك يعني سحنونًا يقعد ، فالعلم أولى به من الجهاد، وأكثر ثواباً يُعطي هذه الخيل التي قدم بها لمن هو في مثل حاله ، فما قدم علينا من إفريقية مثل سحنون وابن غانم !"[4]، لكن سحنون رفض وقرّر العودة إلى موطنه وتدريس بكل ما تعلمه بالمشرق سنة 191هـ/ 806م.

1ـ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 348،349.
2ـ نفسه، ص 349.
3ـ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 264.
4ـ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 82.

ثالثًا: أهم شيوخ سحنون الذين تتلمذ على أيديهم:

لقد أخذ سحنون العلم أولاً بالقيروان على يد خيرة شيوخ وعلماء إفريقية :

من بين شيوخه حبيب بن سعيد التنّوخي وهو الأخ لسحنون ، فكان أسن منه ، وكان ثقة، رجلا صالحا[1]، قد نعتبره المعلم الأول الذي أخذ عنه العلم، وبالتالي فهو بمثابة النواة الأولى في بناء حياة سحنون الفقهية والعلمية، حيث اعتمد عليها كل الاعتماد وسار على منهجيته في الحياة الفكرية باعتباره الأخ الأكبر لسحنون .

كما أخذ سحنون الحديث و الفقه بالقيروان عن أبي خارجة[2]، وكان سحنون بجله ويعرف حقه، وإذا سئل بحضرته أحال عليه، وكان أسن من سحنون[3]، لأنّ سحنون كان يكثر من الأسئلة على شيخه.

ومنهم عبد الرحيم بن الأشرس الذي كان سحنون يمضي معظم أوقاته معه[4]، حيث يرجع له الفضل في تكوين ملكة سحنون الفقهية في فقه مالك.

ومن بين شيوخه أيضا عبد الله بن فرُّوخ الذي يعد فقيه من فقهاء القيروان، وكانت حلقاته العلمية يتدفق عليها الطلاب[5]، من بينهم سحنون وأخيه حبيب.

كما يعتبر عبد الله بن غانم شيخا من شيوخه بالقيروان الفقيه البارع، الذي يعود له الفضل في تفقيه سحنون بفقه مالك، والذي تأثر به كل التأثير[6]، فسمع منه الموطأ[7]مالك.

1ـالدباغ، المصدر السابق، ج2، ص104.

2ـ هو أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي ،سمع من مالك بن أنس والثوري وبن عيينة ،له سماع موطأ من مالك ، كان شيخا، صالحا، عالما، باختلاف العلماء ، وأكثر اعتماده على مالك متفننا في العلوم من الحديث ،والفقه والعبادة والعربية ، سمع منه نظراؤه بإفريقية من البهلول بن راشد وغيره، وهو ثقة مأمون رجل صالح مستجاب الدعوة، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص 270.

3ـ نفسه، ص270.

4ـ محمد زينهم، المرجع السابق، ص 100.

5ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 346.

6ـ محمد زينهم، المرجع أعلاه، ص 112.

7ـ لقد أودع الإمام مالك بن أنس أصول والأحكام من الدين الصحيح المتفق عليه من القرآن الكريم والسنّة النّبوية والإجماع والقياس ، ينظر ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، 2001، ج1، ص 558.

ومنهم شقران بن علي[1] الذي درس عنده سحنون علم الفرائض[2]، فهو بصيرة في علم الفرائض.

كما نجد منهم أيضاً عبد الله بن أبي حسان[3]، الذي كان يرجع إليه سحنون عندما تصعب عليه مسألة، وفي هذا الشأن يقول عن معلمه: " كنتُ في أول طلبِي إذا أُغلقت عليّ مسألة مضيتُ إلى ابن أبي حسان، فأعلمته بذلك ، فكان بيده مفتاح لكل ما أغلق"[4]، يبدو أنّ سحنون كان يرجع إلى معلمه كلّما استعصت عليه .

ومن شيوخ سحنون بالقيروان أيضا نذكر كل من أبو زياد بن زرعة الرعيني الذي روى عنه سحنون وهو قليل الحديث والطلاب، إضافة إلى شيخه معاوية بن الفضل الصمادحي، فهو معدودا في شيوخ إفريقية، كما أخذ علومه عن البهلول بن راشد الذي أشار على سحنون بالذهاب إلى تونس، لما زاد في طلبه للعلم، وأخر شيوخه أسد بن الفرات الذي يعد من كبار معلمي سحنون.

ثمّ أخذ سحنون علومه على يد أحد شيوخ تونس وهو علي بن زياد التونسي، ولقد اتصل سحنون بهذا الفقيه عن طريق أستاذه البهلول بن راشد الذي أرسل معه كتابا يحثه على العناية به، حيث كان سحنون لا يقدم عليه أحدا من أهل إفريقية[5]، وهذا راجع إلى القيمة العلمية والفقهية التي كان يتمتع بها علي بن زياد، حيث عرف عنه روى الموطأ، فهو كان خير معلم لسحنون، بحيث كان شديد الإعجاب بمعلمه، ولقد منح علي بن زياد بكل ما عنده من العلم وفقه وفضيلة ، فكان سحنون في كل مرة يمدحه ويكثر الكلام والحديث عنه،

1- هو أبو علي شقران بن علي الهمداني، كان واحد الزمان عبادة ، وزهدا، وحسن معاملة لله تعالى، وكثيرة الكرمات وعلو همة وسرعة إجابة ،وكان ضريرا نشأ على طهارة مع كصرة الصلاة وصيام ورقيق القلب غزير الدمع، وكان يقال عنه مستجاب الدعوة وكان من رجال الفضل والدين والاجتهاد انتفع منه كثيرا ذو النون الصري، ينظر الدباغ ،المصدر السابق، ج1، ص279 وما بعدها، والمالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 222،223، وأبو العرب، المصدر السابق، ص 61.

2- محمد زينهم، المرجع السابق، ص108.

3- هو عبد الله بن أبي حسان اليحصبي ، وكنيته أبو حسان وقيل أبو عبد الرحمان ،وهو ممن سمع من مالك وسفيان بن عيينة وابن وابن أبي ذئب، كان له علم ،وفصاحة،ثقة ، وكان أعلم الناس بالتاريخ، وله إثارة ، ينظر أبو العرب، المصدر أعلاه، ص75، وعياض، المصدر السابق، ج2، ص 480.

4- نفسه، ص 480.

5- أبو العرب، المصدر أعلاه، ص 211.

حيث كان يقول عنه في هذا الشأن:"ما أبلغ البهلول بن راشد شسع بعلم علي بن زياد"[1]، بحيث كان البهلول يسمع منه لشاسعة علمه، ويكتب إليه في تونس يستفتيه في المسائل الغامضة ،كما قال أيضا:" أنّه كان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد ، ليعلمهم بالصواب وكان خير أهل إفريقية في الضبط للعلم"[2]، كما عرف عنه أنّه روي عن مالك الموطأ، حيث ذكر ابن فرحون أنّ سحنون قال عن معلمه " لو كان لعلي بن زياد من الطلب من المصريين ما فاته منهم أحد !وما عاشره منهم أحد !" [3] ، وقال أيضا " ما أنجبت إفريقية مثل علي بن زياد"[4]، وهذا من شدّة إعجاب سحنون بمعلمه، وقد أشار علي بن زياد على سحنون بالرحيل إلى المشرق من أجل الاستزادة في دراسة الفقه المالكي.

بعدما تمكن سحنون من تعلمه وتفقهه أولاً على يد خيرة علماء وفقهاء إفريقية، اتجه مباشرة المشرق ليستزيد علومه في مجال الفقه المالكي، واتّبع نصيحة معلمه علي بن زياد التونسي، ومن ثمة بدأ بشيوخ مصر، وبفضل هؤلاء أخذ سحنون عنهم الفقه المالكي.

من بين شيوخ سحنون بمصر الذي يعود له الفضل الكبير هو عبد الرحمان بن القاسم الذي كان له الدور كبير في تفقيه سحنون بالمذهب المالكي، لأنّ ابن القاسم كما سبق تعريفه أنّه سمع من مالك الموطأ، ولهذا فهو يعد من كبار أصحاب مالك، و في هذا الشأن قال عنه النّسائي: " أنّ ابن القاسم ثقة رجل صالح سبحان الله ما أحسن حديثه وأصحه عن مالك ليس يختلف في كلمته، ولم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت من ابن القاسم وليس أحد من أصحاب

1ـ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص158.
2ـابن فرحون، المصدر السابق، ص 292.
3ـ نفسه، ص 292.
4ـ المالكي، المصدر أعلاه، ص 158.

مالك عندي مثله"[1]، ولقد اتصل سحنون بمعلمه ابن القاسم الذي منحه العلم والفقه ، وبهذا العلم الذي أخذه عنه أقام مدونته[2] الكبرى وهي من أمهات الكتب[3].

أما الشخصية الثانية التي كانت لها الأثر في حياة سحنون العلمية، هو عبد الله بن وهب، بحيث أخذ عنه علم الحديث والسنن والآثار، بحيث قال عنه سحنون:" كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثا ، ثلثا في الرباط وثلثا يعلم الناس بمصر وثلثا في الحج"[4].

ومن بين شيوخ مصر أيضا نجد أشهب بن عبد العزيز الذي روي عنه سحنون ، بحيث قال سحنون :" قال لي ابن القاسم إن كنت مبتغيا هذا العلم بعدي فابتغه عند أشهب"[5]، وهذا دليل على القيمة الفقهية التي يحملها أشهب، ولقد قُرن بين هذين الشيخين، بحيث سُئل سحنون عن ابن القاسم وأشهب أيُّهما أفقه؟، فقال: كانا كفرسي رهان ! وربما وفق هذا وخذل هذا، وربما خذل هذا ووفق هذا[6]، لم يوفق سحنون في اختيار أيُّهما أفضل في شيوخه، لأنّ الشيخان متكاملان ومتقاربان.

ومنهم أيضا أصبغ[7] بن الفرج الذي أخذ سخنون منه الفقه، حيث كان فقيها ساهرا في فقهه، طويل اللسان، حسن القياس[8]، وقال عبد الملك بن الماجشون[9] في حقه:"ما أخرجت

1ـ عياض، المصدر السابق، ج2، ص 434، والسيوطي ، حسن المحاضرة المصدر السابق، ج1، ص303.

2ـ تعد المدونة الكبرى الأصل الثاني بعد الموطأ عند فقهاء المالكية ، وهي ثمرة مجهود ثلة من الأئمة مالك بن أنس ، بإجاباته وعبد الرحمان بن القاسم بقياساته وزياداته وأسد بن الفرات بأسئلة وسحنون بتهذيبه وتنقيحه، ينظر محمد المختار، محمد المامي، المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه، وسماته ، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط 1، الإمارات العربية المتحدة ، 2002، ص ص 247- 250.

3ـ محمد زينهم، المرجع السابق، ص88.

4ـ ابن خلكان ، المصدر السابق، ج2 ، ص241.

5ـ عياض، المصدر أعلاه ،ج2، ص447.

6ـابن فرحون، المصدر السابق، ص162.

7ـ و أصبغ : بفتح الهمزة ،وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء الموحدة ،وبعدها عين معجمة،وهو أبو عبد الله أصبغ بن فرّج بن سعيد بن نافع الفقيه المالكي المصري ،تفقه بابن القاسم ،ووهب ،وأشهب، وكان كاتب ابن وهب وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي والي مصر، تعرض أصبغ إلى محنة خلق القرآن الكريم، فقد قيل أن المعتصم طلبه للامتحان، فهرب إلى حلدان، ومات هناك 225هـ، ينظر ابن العماد، المصدر السابق، ج2، ص 56، وابن خالكان، المصدر أعلاه، ج1،علاه ص 240، وعياض،المصدر أعلاه،ج2، ص565.

8ـ ابن العماد ، المصدر أعلاه، ج2، ص56.

9ـ الماجشون بكسر الجيم ، وبعدها شين معجمة مضمومة ، وهو المور، ويقال الأبيض والأحمر، وهو لقب أبي يوسف يعقوب بن أبي سلمة عم والد عبد الملك ،ولقبه بذلك سُكينة بنت الحسين بنعلي بن أبي طالب، وجرى هذا اللقب على أهل

مصر مثل أصبغ ، قيل له ولا ابن القاسم ؟، قال ولا ابن القاسم ، وكان كاتب ابن وهب"[1]، يعتبر أصبغ من الشيوخ الثقات شأنه شأن شيوخ المصريين الآخرين، ولقد ذكر ابن فرحون أنّ لأصبغ مؤلفات، أهمها كتاب الأصول في عشيرة ، وكتاب تفسير غريب الموطأ ، وكتاب آداب، وكتاب آداب الصائم ،وكتاب آداب القضاء،والرد على الأهواء[2].
ومنهم عبد الله بن عبد الحكم[3]، الذي تتلمذ على يده سحنون بن سعيد وكان رجلاً صالحاً ثقة متحققا بمذهب مالك، فقيها[4]، لقد أخذ عنه سحنون واطلع على مؤلفاته التي تدور حول مسائل في الفقه المالكي، وقد بلغ من التقدم ما لم يبلغه أحد من تلامذة مالك

بعدما استفادة سحنون من شيوخه بمصر واصل رحلته العلمية نحو المدينة، وأخذ عن كبار شيوخ المدينة المنورة الفقه المالكي، بتعرّفه أكثر على هذا المذهب:

من بين شيوخه المدينة نجد عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون كان فقيها ،فصيحا ودارت عليه الفتوى في أيامه إلى موته[5]، تفقه عبد المالك بأبيه وبمالك، تفقه على يده سحنون، حيث وعبّر عنه بقوله :"هممتُ أن أرحل إليه وأعرض عليه هذه الكتب ، فما جاز منها أجزتُ ، وما ردّ رددتُ[6]، ومن هذا المنطلق نفهم أنّ سحنون رغم أنّه لم يأخذ عن الإمام مالك، إلاّ أنّه أخذ الفقه المالكي على أصوله الصحيحة بدار الهجرة من معلمه عبد المالك الماجشون، لأنّه تفقه عن أبيه والإمام مالك بن أنس الفقه المالكي، ومن خلال تأثر

=بيته من بنيه وبني أخيه، واسمه الكامل هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن سلمة الماجشون ، وكنيته أبو مروان ، وهو مولى لبني تميم من قريش، والماجشون المزرّد بالفارسية سمي بذاك لحمرة في الوجه، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص 251،252.

1- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 240.

2-ابن فرحون، المصدر أعلاه، ص 160.

3- هو أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعيّن بن ليث بن رافع ، الفقيه المالكي المصري كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله وأفضت إليه رياسة الطائفة المالكية بعد أشهب ، روى عن مالك الموطأ سماعاً ، وكان من ذوي الأموال ،ولد عام 155هـ ، ومات 214هـ، ينظر السيوطي، حسن المحاضرة المصدر السابق، ج1، ص305، والشيرازي، المصدر السابق، ص128، عياض ، المصدر السابق، ج2، ص 525.

4- الشيرازي، المصدر أعلاه، ص 128.

5- عياض، المصدر أعلاه، ج1 ، ص 360.

6- ابن فرحون، المصدر أعلاه، ص 252.

سحنون بشيخه ، فلقد ذكر عياض عن محنة القول بخلق القرآن الكريم[1] ، الذي أرسل سحنون إلى معلمه الماجشون بالمدينة يسأله في التشبيه و القرآن، قال تعالى:{فَسْأَلُواْ أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون}[2] فكتب إليه عبد المالك يقول: " من عبد الله بن الماجشون إلى سحنون بن سعيد ، سلام عليكم فإنّي أحمد إليك الله الذي لا لإله إلاّ هو، أما بعد وفقنا الله وإياكم لطاعته. سألتني عن مسائل ليس في شأن أهل العلم والعمل بها جهل ، فيكفيك من مضي في صدر هذه الأمة أنّهم اتبعوا بإحسان ولم يخوضوا في شيء منها، وقد خلص الدين إلى العذراء في خدرها فما قيل لها كيف، ولا من أين؟ فاتبع لما اتبعوا واعلم أنّه العلم الأعظم الذي لا يشاء الرجل أن يتكلم في شيء من هذا، فيكتب فيهوي في نار جهنّم"[3]، وهذا دليل على أنّ سحنون ما زال يتصل بشيخه بالمدينة وذلك من خلال مسألته في ما كان يجري بإفريقية من فتنة "القول بخلق القرآن"، ورد قول الله تعالى: { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَار مَا كَانَ لَهُمُ اَلْخِيرَةُ}[4]

ومن شيوخ الإمام سحنون بالمدينة أيضا نجد معن بن عيسى القزاز[5]، سمع من مالك بن أنس أربعين مسألة والتي سمعها منه سحنون وأضاف بعضها في مدونته الكبرى[6]، فهو الذي خلف مالك في الفقه بالمدينة لأنّه كان أشد الناس ملازمة لمالك[7]، وبفضل معن بن عيسى وقربه من الإمام مالك، وربما يرجع ذلك إلى أنّه ربيب مالك، حضي سحنون بسماع منه المسائل التي سمعها من مالك، وتمكن من وضعها في مدونته.

1ـ يظهر أنّ الأغالبة قدموا الاعتزال كاتجاه عقدي رسمي لدولتهم منذ عهد الأمير زيادة الله الأول مسايرة منه للخليفة العباسي المأمون ، وكذلك عندما أقدم أحمد بن الأغلب بإزاحة شقيقه الأمير محمد الأول (226- 242هـ/ 841- 856م) من الحكم ، فحالما نجح في نيل غرضه أعلن من أعلى منابر المساجد بإفريقية بمذهب خلق القرآن ،اقتداء منه بأعلى سلطة روحية وزمنية عند المسلمين سعياً منه لنيل تأييدها في ثورته وإرضاء منه للمعتزلة الذين كانوا يتولون مناصب هامة بالدولة الأغلبية، ينظر محمد الطالبي، الدولة الأغلبية المرجع السابق، ص 258- 260.

2ـ سورة النحل، الأية 43.

3ـ عياض ، المصدر السابق ، ج1، ص 363.

4ـ سورة القصص، الآية 68.

5ـ سُمي بالقزاز لأنّه كان يبيع القز مولى أشجع أبو يحي روى عن مالك وكان ربيبه وعن جماعة وروى عنه ابن المديني وابن معين والحميدي وسحنون وغيرهم، وهو الذي قرأ عليه الموطأ للرشيد وابنيه الأمين والمأمون، توفي سنة 198هـ بالمدينة، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص 426.

6ـ محمد زينهم ، المرجع السابق، ص 82.

7ـابن فرحون، المصدر أعلاه، ص 426.

و من الشيوخ سحنون بالمدينة نجد مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان[1]، فهو ابن أخت مالك بن أنس[2]، والذي كان من المختصين في الفقه المالكي ، حيث أخذ منه سحنون الفقه وعلوم الحديث.

ومن شيوخ سحنون بالمدينة نتجه بذكر إلى شيوخه بمكة الذين سمع وأخذ عنهم سحنون الحديث، منهم وكيع بن الجراح الرواسي الذي يكنى بأبي سفيان، وهو كوفي ، ولد سنة 129هـ[3] ،وهو أحد أئمة الذين تفقه على يد الإمام مالك،و الليث بن سعد ، وابن الماجشون[4]، وتوفي سنة 197هـ.

ومن شيوخه بمكة سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمونة الهلالي، وأصله من الكوفة، كان إماماً عالماً، حجة زاهدًا ورعاً مجمعا على صحة حديثه وروايته[5]، لكن المالكي أورد أنّه من شيوخ الشام[6]، لا يهم إذا كان من الشام أو مكة، المهم أنّ سحنون روى عنه الحديث.

لقد نشأ الإمام سحنون بإفريقية، وتعلم على يد خِيرة شيوخ القيروان، كما كانت له رحلة إلى المشرق الإسلامي لاستزادة، فلقي كبار تلامذة مالك بن أنس، و عنهم أخذ الفقه المالكي والحديث ، هذا ما جعله إماما وفقيها مالكيا بالمغرب الإسلامي.

1ـ هو ابن يسار اليساري الخلالي أبو مصعب ،ويقال أبو عبد الله مولى ميمونة أم المؤمنين زوج النبّي (عليه الصلاة والسلام)، رضي الله عنها ، روى عن مالك ، وقال ابن حنبل : كانوا يقدمونه على أصحاب مالك صحب مالكا سبع عشرة سنة، وتوفي سنة 220هـ بالمدينة، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص424.

2ـ نفسه، ص 424.

3ـ المالكي، المصدر السابق، ج 1، 348.

4ـ محمد زينهم، المرجع السابق، ص83.

5ـ نفسه، ص 84.

6ـالمالكي ، المصدر أعلاه، ص 348.

الفصل الثالث:أعمال الإمام سحنون العلمية والفقهية بعد عودته من المشرق في عهد الأغالبة.

أولاً: دور سحنون في نشر المذهب المالكي بإفريقية.

ثانيًا: المدوّنة الكبرى في أصول الفقه المالكي.

ثالثًا: تلامذة الإمام سحنون.

أولاً: دور الإمام سحنون في نشر المذهب المالكي بإفريقية:

قبل أن ينتهى القرن الأول للهجري حتى انتشر الإسلام بين البربر، وتشبّعوا بهذا الدين، لكن في الوقت الذي كان المغرب الإسلامي يعيش فترة تفكك واضطراب في عهد الولاة، بدأت تتوافد إلى بلاد المغرب الإسلامي المذاهب الفقهية وبعض الفرق الكلامية كالمعتزلة و الأشاعرة والمرجئة[1]، والفرق الخارجية كالإباضية والصفرية، التي نشأت ببلاد المشرق وانتقلت إلى بلاد المغرب، بحيث استغلت هذه الفرق والمذاهب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمرّ بها المنطقة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريين، وأواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلاديين، وفي هذا الشأن قال الله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}[2]، ولقد أدخل أيضًا إلى إفريقية المذهب الظاهري[3] من طرف بعض العلماء، كما أخذ بعضهم بالمذهب الشافعي، ولكن الغالب عليها مذهب مالك وأبي حنيفة خاصة في عهد الأغالبة[4]، الذي أدخلا من طرف مجموعة من العلماء إفريقية أخذوا الفقه من مالك وأبي حنيفة.

يعود انتشار وترسيخ المذهب المالكي بالمغرب إلى جهود سحنون في عهد الأغالبة، إلاّ أنّ إفريقية كانت تعرف هذا المذهب من قبله عن طريق علماء وفقهاء القيروان الأولين الذين كانت لهم رحلات إلى المدينة، تلقوا أصول هذا المذهب على صاحبه الإمام مالك بن أنس، من بينهم علي بن زياد الذي يعود له الفضل في إدخال موطأ مالك إلى

[1]ـ كان حزبًا محايدا، وأوكلوا أمرهم إلى الله ليحكم فيه، ثمّ تحول إلى مذهب فلسفي يؤكد أصحابه أنّ الإيمان هو الاعتقاد بالقلب، ينظر راضي، دغفوس، دراسات في تاريخ العربي الإسلامي الوسيط، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1425هـ/2005، ص 264.

[2]ـ سورة الأنعام، الأية 160.

[3]ـ ينسب هذا المذهب إلى مؤسسه داود بن علي بن خلف الأصفهاني، المعروف بالظاهري (201-270هـ/ 816-884م)، ومذهبه هذا يأخذ بظاهر النصوص من القرآن الكريم والسنّة، فإن لم يجد نصًا أخذ بالإجماع إلاّ أنّه يرفض القياس ولا يعمل به، ينظر ابن العماد، المصدر السابق، ج2، ص159، و عبد القادر، بوعقادة، المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، والثامن والتاسع الميلاديين، رسالة لنيل الماجستر في التاريخ الوسيط، 2004م، ص198.

[4]ـ عمر، الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، ط3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ص18.

إفريقية، وأمّا سحنون تلميذ علي بن زياد[1]، الذي كانت له رحلة إلى المشرق، ومن خلالها استطاع أن يستقصي مذهب مالك في كل البلاد التي زارها، ومن كل العلماء الذين التقى بهم وأن يجمع كل المسائل الفقهية التي أُخذت عن مالك[2]، رغم أنّه لم يأخذ هذه المسائل عن الإمام مالك مباشرة، إلاّ أنّه عمل على أكثر من غيره على نشر هذا المذهب وتعمق جذوره في بلاد إفريقية والمغرب[3]، بحيث بدأ اشتغاله منذ عودته إلى إفريقية سنة 191هـ/ 806م بتدريس بكل ما تعلمه عن المذهب المالكي من المشرق بجامع القيروان، رغم أنّ أمراء الأغالبة كانوا يقدّمون المذهب الحنفي ويميلون إلى الإعتزال[4]، والذي أدخل إلى إفريقية في القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد، غير أنّه لم يلق إقبالا من المغاربة الذين تشبّعوا بالمذهب المالكي[5]، بحيث عمل سحنون على ترسيخه في نفوس المغاربة[6]، ولكن سحنون وجد نفسه عاجزاً أمام المعتزلة، بحيث شهدت إفريقية فتنة "القول بخلق القرآن" في عهد الأمير الأغلبي زيادة الله أبو محمد (201 - 223هـ/817 - 837م)، لأنّ حكام الأغالبة قدموا الاعتزال كاتجاه عقائدي لدولتهم، ويعود السبب في ذلك أنّهم اتبعوا عقيدة العباسيين، وكل الذي استطاع فعله ضدّهم أنّه امتنع عن الصلاة خلف أئمتهم، ومن بين الأئمة الذين امتنع عن الصلاة خلفهم ابن الجواد[7]، الذي كان من أتباع المعتزلة، أو الصلاة على موتاهم، ذلك لأن المعتزلة كانوا يتمتعون بحماية الأمراء الأغالبة[8]، لكن برغم حماية أمراء للاعتزال، إلاّ أنّ سحنون عندما تولى وظيفة قضاء القيروان(234 - 240هـ/ 850 - 856م)، استغل منصبه القضائي من أجل ترسيخ مذهب مالك، و كذا ضرب الفرق الأخرى خاصة المعتزلة

---

[1]- راضي، دغفوس، المرجع أعلاه، ص 267.

[2]- محمد، محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار للطبع والنشر، ط1، القاهرة ، 1408هـ/ 1988م، ص 258.

[3]- محمد زينهم ،المرجع السابق، ص 223.

[4]- راضي ، دغفوس، المرجع السابق، ص267.

[5]- حسن، أحمد محمود ، المرجع السابق، ج1 ، ص 169.

[6]- يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية و المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90- 450هـ)، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، مكة المكرمة، 1421هـ، 2000م، ج2، ص206.

[7]- عمر الجيدي،مباحث المرجع السابق، ص41.

[8]- العيدروس، المرجع السابق، ص 527.

والخوارج، حيث قام بإيقاف حلقات أهل البدع من مسجد الجامع[1]، وعزلهم أن لا يكونوا أئمة أو معلمين لصبيانهم أو مؤدبين وأمرهم ألاّ يجتمعوا وأدب جماعة منهم بعدما خالفوا أمره وتوّب جماعة منهم[2]، فكانت هذه الحلق المغايرة للمذهب المالكي يتناظرون في مسجد الجامع ويظهرون زيغهم، حيث عبّر عنه أبو العرب بقوله: " أنّه أول من شرّد أهل الأهواء من المسجد الجامع ، وكانوا فيه حلقا للصفرية[3]، والإباضية[4] مظهرين لزيغهم"[5]، وبعد ذلك شجّع على الأخذ بمذهب الإمام مالك، حيث كان الإقبال على رواية الموطأ وغيره من الأصول وانتسخت الكتب وحبست من يقول بقول مالك وأصحابه[6]، وبهذا انتشر وترسّخ علم مالك بالمغرب على يده، وبمدونته حفظ مذهب مالك بإفريقية والمغرب كله على يد تلاميذه من بعده الذين كان لهم الفضل في التعريف بمدوّنة سحنون، وهي كتاب فقه على المذهب المالكي التي عرض فيها مسائل الفقه الرئيسية من العبادات والمعاملات عرضا

---

[1]ـ نسيم، نوار، النزاع السّني الشّيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية (296 ـ 443هـ / 909 ـ 1051م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، 1431 ـ 1432هـ / 2010 ـ 2011م، ص 103.

[2]ـ محمد حسن ، العيدروس، المرجع السابق، ص 527.

[3]ـ الصُفْرية: بضم الصاد المهملة وسكون الفاء وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى بيع الأواني الصُفْرية، فهم طائفة من الخوارج ، والصفرية نسبة لزياد بن الأصفر، ويقال لهم "الزيادية"، ينظر أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، السمعاني التميمي (ت 562هـ)، الأنساب، تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، ط1، بيروت ـ لبنان، 1408هـ، 1988م، ج 3، ص 548، وأبو المظفر طاهر بن محمد، الأسفرايني، التبصير في الدين والتميّز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، ط1، بيروت، 1983، ص ص 53، 54.

[4]ـ الإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي (ت 86هـ/ 705م)، والإباضية مذهب إسلامي أصيل تصدّر المذاهب الإسلامية في نشأته ، وكان ذلك على يد الإمام التابعي جابر بن زيد، وبدأ استعمال لفظ الإباظية كان مع نهايات القرن 3هـ/ 9م، ينظر السمعاني ، المصدر أعلاه، ج1، ص 70، والأسفرايني، المصدر أعلاه ، ص 58ـ 60، وحسن حافظ، علوي، مراجعات حول الصراع السنّي الإباضي ببلاد المغرب، الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط ، دار البيضاء ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، 2008، ص 120، 121.

[5]ـ أبو العرب، المصدر السابق، ص 184.

[6]ـ إبراهيم، شبوح: (سجل قديم لمكتبة جامع القيروان)، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثاني، 1376هـ ، 1956م، ص 339.

بليغا[1]، وفي هذا الشأن أورد ابن فرحون رواية لمحمد بن حارث: قدم سحنون بمذهب مالك واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض، فبارك الله فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب وصار زمانه كأنه مبتدأ قد انمحى ما قبله، فكان أصحابه سُرُجَ أهل القيروان، أنْبَه علمائها وأكثرهم تأليفًا وابن عبدوس فقيهها، وابن غافق عاقلها. وابن عمر حافظها، وجبلة زاهدها، وحمديس أصلبهم في السنّة ، وأعداهم للبدعة ، وسعيد بن الحداد لسانها و فصيحها، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث، وأشدهم وقارًا وتصاوُفًا، كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم"[2]، وهكذا ترسخ مذهب مالك بالمغرب الإسلامي بفضل سحنون وخاصة مدوّنته التي عرفت انتشاراً كبيراً بفضل تلامذة سحنون من بعده، وبذلك ساد هذا المذهب ببلاد المغرب الإسلامي إلى يومنا هذا.

[1]- حسين، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، دار الرشاد ، طبعة خاصة ، 2004، ص 113.

[2]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 264.

ثانيا: المدونة الكبرى في أصول الفقه المالكي:

لقد عرف على سحنون بن سعيد أنّه كان قليل الاهتمام بالتأليف مكتفياً بما أورده في مدوّنته، وربما جاء تدونها كرد فعل لما ورد في الأسدية، ومؤلف الذي ألفه أسد بن الفرات، حيث جمع فيها بين فقه الإمام مالك وفقه الإمام أبو حنيفة، كما سميت أيضا بالمختلطة، بينما المدوّنة تعتبر المرجع الأصلي في الفقه المالكي، والذي عرض فيها سحنون مسائل الفقه الرئيسية من العبادات والمعاملات عرضًا مفصلا[1]، ومن أمثلة على ذلك مسألة في الصيام، في الصلاة، في الزكاة، في النكاح، في الطلاق، في القضاء، في التجارة والوضوء، وغيرها من مسائل فقهية، والتي أخذها عن ابن القاسم، وتتفق معظم المصادر أنّ أول من شرع في تصنيف المدوّنة[2] هو أسد بن الفرات بعد رجوعه من العراق وسميت بالأسدية، حيث أنّ سحنون سمع منه المدوّنة[3]، وقيل أنّ سحنون بقي عليه من الأسدية كتاب القسم، فأبى أسد أن يعطيه[4]، لكن سحنون تمكن بالدهاء والحيلة الحصول على هذا الكتاب[5]، يبدو أنّ سحنون بعدما تمكن من كتابة ما سمعه من أسد ارتحل إلى مصر ولقي ابن القاسم أخبره بنشاط أسد بن الفرات في بث مدونته، فسرّ لذلك سروراً عظيما وعرض عليه سحنون رغبته في سماع المدونة منه فأذن له، وصح النص الذي اصطحبه

---

[1] حسين، مؤنس، المرجع السابق، ص113.

[2] ـ وأصلها أسئلة سأل عنها ابن القاسم، فأجابه عنها، وجاء بها أسد إلى القيروان، وكتبها عنه سحنون، وكانت تتكون من 36000مسألة، وقيل60000 مسألة، لكن الراجح أنّها تشتمل على نحو 36000 مسألة حسب ما ذكرته المراجع، ينظر أحمد، أمين، ظهور الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص336، ج1، و رشيدة، رافعي، المرجع السابق، ص201، وعمر،رضا كحالة، معجم المؤلفين، سورية، 1380هـ/1960م، ص224، ج5.

[3] ـ ذهبت الدراسات الحديثة من المستشرقين إلى أنّ المدوّنة لسحنون، أمثال ميكلوش، و شاخت،وبرنشفيك، حسب قراءتهم للمصادر، ينظر ميكلوش، موراني،مصادر جديدة حول كتب المدونة لسحنون بالقيروان، محاضرات ملتقى، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، 1993م،ص134زما بعدها، و : (R) Brunschvig Logique et le droit dans l'islam,dans l'études d'islamologie,T2,editionG.P.Maisonneuve et la rousse,Paris,1976,P349, (J) schacht :Sur la transmission de la doctrine dans les écoles juridiques de l'islam,dans les annales de faculté de lettres de l'université,d'Alger, 1952, P408_ 413.

[4] ـ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 17.

[5] ـ المالكي، المصدر السابق، ج1،ص ص180،178.

سحنون معه من إفريقية نقلاً عن أسد[1]بن الفرات، فحين يذكر ابن خلكان قول جمال الدين أبا عمرو ما قاله له فقهاء المالكية قائلاً: " أنّه ذكر لي بعض الفقهاء المالكية أنّ الشيخ جمال الدين أبا عمرو المعروف بابن حاجب[2]، قال: أنّ أسد بن الفرات الفقيه المالكي جاء من الغرب إلى مصر وقرأ على ابن القاسم ، وأخذ عنه الأسدية ، وكانت مسودة ، وعاد بها إلى بلاده ، فحضر إليه سحنون وطلبها منه لينقلها، فبخل عليه بها ، فرحل سحنون إلى ابن القاسم و أخذ عنه المدوّنة ، وقد حررها ابن القاسم ، فدخل بها إلى الغرب وعلى يده كتاب ابن القاسم إلى أسد بن الفرات يقول فيه: تقابل نسختك بنسخة سحنون، فالذي تتفق عليه النسختان يثبت والذي يقع فيه الاختلاف فالرجوع إلى نسخة سحنون، وتمحى نسخة ابن الفرات فهذه هي الصحيحة ، فلما وقف ابن الفرات على كتاب ابن القاسم عزم على العمل به، فقال له أصحابه: إنْ عملت هذا صار كتاب سحنون هو الأصل وبطل كتابك وتكون أنت قد أخذته عن سحنون ، فلم يعمل بكتاب ابن القاسم ، فلما بلغ ابن القاسم الخبر قال: اللهم لا تنفع أحداً بابن الفرات ولا كتابه"[3]، بحيث نقل إلينا الدباغ ما قاله بعض تلامذة أسد له :" لا تضع قدرك تصلح كتبك من كتبه ، وأنت سمعتها قبله؟ فترك ذلك"[4]، يبدو أنّ سحنون سمع المدوّنة من أسد، حسب ما ذكرته المصادر، وكانت الأسدية غير مرتبة ترتيبًا دقيقًا ، سار سحنون على نمط أسد بن الفرات في تأليفه للأسدية، فسحنون جمع كل ما قيل من المسائل من مختلف آراء وفقه مالك ، وكانت كل مسألة تتعدد فيها الأقاويل والآراء يرجع إليها إلى مصدر و مرجع الفقه المالكي عبد الرحمان بن القاسم ، حيث اعتبره سحنون المصدر الأول للمذهب المالكي لكثرة سماعه من الإمام مالك[5]، ولقد قال الشيرازي: " واقتصر الناس على التفقه في كتب سحنون ، ونظر سحنون فيها نظرًا آخر فهذبها وبوّبها ودوّنها ، وألحق فيها

---

[1]- المالكي، المصدر السابق ، ج1، ص172، والدباغ ، المصدر السابق، ج2، ص5 .

[2]- هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدّوني ،ثم المصري ، الفقيه المالكي العروف بابن الحاجب الملقب بجمال الدين،وكان كرديا اشتغل أبو عمرو بالقاهرة في صغره بالقرآن الكريم ، ثم بالفقه على مذهب مالك ثمّ بالعربية والقراءات، وكان الأغلب عليه علم العربية وصنّف مختصرًا في مذهبه ومقدمة وجيزة في النحو وأخرى في التصريف، وشرح المقدمتين ، وله أبيات شعرية، ينظر ابن خلكان، المصدر السابق، ص 248 وما بعدها.

[3]- نفسه، ص ص 181، 182.

[4]- الدباغ ، المصدر أعلاه، ج2، ص17.

[5]- محمد زينهم ، المرجع السابق، ص183.

من خلاف كبار أَصحاب مالك ما اختار ذكره وذيّل أبوابها بالحديث والآثار إلاّ كتباً منها معرفة بقيت على أصل اختلاطها في السماع، فهذه هي كتب سحنون المدونة والمختلطة"[1]،ويبدو أنّ الناس مالوا إلى التفقه بكتب سحنون التي عكف عليها سحنون بالتهذيب والتبويب والتنظيم و ألحق بها بعض المسائل التي اختلف فيها كبار الصحابة أصحاب مالك[2]، والمختلطة أسد بن الفرات هي عبارة عن الأسدية لاختلاف الفقهاء في المسائل الفقهية، فالمختلطة تجمع ما بين الفقه المالكي بالمدينة والفقه الحنفي بالعراق ،بحيث قال الخشني :" رحل سحنون إلى ابن القاسم ، وقد تفقه في علم مالك ، فكاشف ابن القاسم عن هذه الكتب مكاشفة فقيه يفهم ، فهذبها مع سحنون"[3]، صارت كتب سحنون أصل المذهب مالك عند المغاربة وانتشر ذكر مدوّنة سحنون في بلاد المغرب ، وأخذوا بها، وأعرضوا عن الأسدية ، بل نسيت الأسدية فلا ذكر لها الآن[4]، وهذا راجع لعدة أسباب، برغم أنّ أسد تتلمذ عن مالك بن أنس من بين الأسباب أنّ أسد عرف عنه أنّه كان كثير الأسئلة في مجالس مالك ، مما جعل مالك ينصحه بالذهاب إلى العراق[5]، فسمع أسد من أبي حنيفة و تلاميذه ، فهو جمع بين آراء المذهب المالكي والحنفي .

كما أنّ أسد بن الفرات لم يتقبل الإصلاحات التي قاما بها سحنون وابن القاسم على كتابه بسبب كبريائه، لأنّه من الفقهاء الذين لقي مالك وأخذ عنه، وكيف تقارن بمدوّنة تلميذه الذي أخذ عنه، وربّما شعر بالتعب في تدوينها ، فرفض تلك الإصلاحات ، وحمل كتاب اسمه فيما بعد باسم الأسدية.

---

[1]- الشيرازي، المصدر السابق، ص 127.

[2]- سعيدة، لوزري، المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله و انتشاره(3-5هـ/9-11م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، اشرف بشاري لطيفة بن عميرة، جامعة الجزائر2- بوزريعة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص 33.

[3]- عياض، المصدر السابق ، ج2، ص 471.

[4]- نفسه، ص 472.

[5]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 7.

إنّ انتشار المذهب المالكي بمنطقة المغرب الإسلامي يعود إلى سحنون في حد ذاته وإلى مدوّنته التي تعد المرجع الأصلي لهذا المذهب، وفي هذا الصدد قال سحنون لطلبته عن مدونته:" عليكم بالمدوّنة ، فإنّها كلام وروايته له"[1]، فهو يقصد الإمام عبد الرحمان بن القاسم وما أخذه من فقه عن الإمام مالك، وكان يقول أيضاً :" إنّما المدوّنة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن تجزي في الصلاة غيرها، ولا تجزي غيرها عنها، أفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبيّنوها، فما اعتكف أحد على المدونة ودرسها إلى عرف ذلك في ورعه وزهده..."[2]، فيما يجلب الانتباه في المدوّنة هو غياب عبارة مذهب مالك أو المذهب المالكي، بل كل ما فيها عبارة قول مالك، وورد ذلك بصفة متواترة، مثلا: سحنون يقول عن الأذان والإقامة ، قال ابن القاسم قال مالك:" الأذان الله أكبر الله أكبر أشهد أنّ لا إله إلاّ الله أشهد أنّ لا إله إلاّ الله أشهد أنّ محمداً رسول الله أشهد أنّ محمدًا رسول الله"[3]، ويقول سحنون في موضع آخر: فيما جاء في التجارة إلى أرض العدو، قال سحنون بن سعيد: قلت لابن القاسم: هل كان مالك يكره أن يتجر الرجل إلى أرض الحرب؟ قال: نعم، كان يكرهه مالك كراهية شديدة"[4]، وقد كان أهل المغرب يرجعون إلى مسائل فقهية في المدوّنة، خاصة المسائل الرئيسية في المعاملات، على سبيل المثال إختلافهم في مسألة النكاح، وطلب بنت البكر للزواج من أهلها، ما يقدم هذا الزوج للبنت التي طلبها للزواج منه من مال كمهر لها، برجوع إلى كتاب النّكاح الأول[5]، لقد عرفت المدوّنة سحنون انتشارًا كبيرًا في معظم بقاع العالم الإسلامي، حيث أخذها بعض طلاب سحنون الوافدين إليه، وبفضل المدوّنة الكبرى ترسخ مذهب مالك،برغم من تعرض هذا المذهب لعدة انتكاسات مرّت بها المنطقة إما ببلاد المغرب الإسلامي إلاّ أنّه بقي راسخا في المنطقة.

---

[1]- المالكي ، المرجع السابق، ج1، ص 174.

[2]- عياض، المصدر السابق، ص472.

[3]- سحنون بن سعيد ، التّنوخي، المدوّنة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ) ، ج 1 ، رواية عن الإمام عبد الرحمان بن قاسم ، و يليها مقدمات ابن رشد ، لبيان ما اقتضته المدوّنة من الأحكام للإمام الحافظ أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 520هـ)، دار الكتب العلمية ، ط 1، بيروت ـ لبنان ، 1415هـ،1994م، ص 157.

[4]- نفسه، ج 3، ص 294.

[5]- أبو عمران، الفاسي، مختصر عن مسائل المدوّنة، مخطوط بمصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية، تحت رقم 3048، ص1، أنظر الملحق الأول، ص74.

ثالثاً: تلامذة الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي:

لقد نبغ على يد الإمام سحنون عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين واصلوا في نشر العلم وترسيخ مذهب المالكي في جميع أنحاء المغرب والأندلس من بعده ، فقد كثر تلاميذه الذين أخذوا العلم عنه، وتأدّبوا بأدبه ، بحيث كانت حلقته تجذب عدداً كبيراً من الطلاب لا من القيروان وحدها، بل من جميع أنحاء المغرب وصقلية وحتى الأندلس[1]،وهذا وإن دلّ على شيء فإنّه دلّ على أخلاق التي اتصف بها سحنون في حلقاته العلمية أثناء إلقاء دروس على طلابه.

ولقد اختلف المؤرخون في عدد تلاميذ سحنون، قيل إنّ الرواة عن سحنون بلغوا مابين سبعمائة[2] وتسعمائة[3] طالب، لكن ما يهمنا هو ذكر أشهر طلابه والذين كان لهم دور عظيم في الفقه المالكي من بعده، قد يكونوا اشتهروا به، من خلال تقلدهم لوظيفة القضاء، أو دورهم الحضاري أو الديني أو الإداري، وغيرها من الوظائف، أشهر تلامذته:

1- ابنه محمد بن سحنون (ت 256هـ/870م) من رجال القيروان الذي ورث عن أبيه كل الصفات الخُلقية، لم يخلف لنا في الفقه شيئاً، وإنّما كان كثير التأليف في شتى العلوم تصل إلى 200 كتاب حسب تقدير المؤرخين، وفي هذا الشأن قال الخشني: "كان كثير الوضع للكتب، غزير التأليف[4]، ومن بين كتبه نجد كتاب الرد على أهل البدع وكتاب الأشربة وكتاب الإباحة وكتب الورع وغريب الحديث وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك، ولكن اشتهر بكتابه "آداب المعلمين"[5]، وهو كتاب تناول فيه آداب والأخلاق التي يتحلى بها المعلم في التربية والتعليم.

---

[1]- محمد ، زيتون ، المرجع السابق، ص 260.

[2]- بطرس، البستاني، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، بيروت، 1887، ص 533.

[3]- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي(ت 748هـ/ 1374م)، سير أعلام النّبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء صالح السّمر، مؤسسة الرسالة، ج12، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 68.

[4]- الخشني، طبقات علماء، المصدر السابق، ص 178.

[5]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص226.

2- ومنهم أحمد بن محمد الأشعري بن حمديس القطان(ت 259هـ/872م)، فهو يعتبر من كبار أصحاب سحنون،كان عالماً في الفضل مثلاً في الخير مع شدة التماسك[1]، الذي قال عن شيخه:"كان العلم في صدره كسورة من القرآن"[2] روى عن سحنون فقه مالك.

3- ومنهم أيضا محمد بن عبدوس[3](ت 260هـ/873م)، الذي كان من بين الذين كانوا يحضرون مجالس سحنون، بحيث يعتبر ابن عبدوس من كبار تلامذة سحنون في المجتمع الأغلبي خاصة[4]، له عدة مصنّفات من بينها كتاب سماه المجموعة[5] على المذهب مالك.

4 - عيسى بن مسكين (ت 275هـ/ 888م) تفقه على سحنون وأخذ أصول مذهب المالكي، وفي هذا الصدد قال عيسى عن شيخه:" أنّه راهب هذه الأمّة ولم يكن بين مالك وسحنون أحد أفقه منه"[6]، كان يحضر مجالس سحنون العلمية وابنه محمد من بعده.

5- عبد الله بن غافق التونسي (ت275هـ/888م)،يكنّى بأبي عبد الرحمان، من أهل العلم والورع والكرم[7]، معدودا في أصحاب سحنون، أخذ عنه فقه مالك، قيل عرض عليه الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد(261-289هـ/875-902م) قضاء القيروان، لكنّه رفضه.

---

[1]- ابن فرحون ، المصدر السابق، ص31.

[2]- المالكي، المصدر السابق،ج1، ص352،

[3]- هو محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير المعروف بابن عبدوس أصله من العجم من موالي قريش، أخذ علمه عن معاوية الصمادحي وغيره، كان إماما في الفقه، توفي سنة 260هـ، ينظر عياض، المصدر السابق، ج3، ص119، و الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص103.

[4]-محمد زينهم، المرجع السابق، ص 201.

[5]- عياض، المصدر أعلاه، ج3، ص121.

[6]- المالكي، المصدر أعلاه، ج1، ص353.

[7]- عياض، المصدر أعلاه، ج3، ص272.

6- سليمان بن سالم القطان[1](ت 281هـ/894م)، الذي غلب عليه الرواية والتقييد، سمع من سحنون فقه مالك وابنه محمد، وعنه انتشر مذهب المالكي بصقلية، له كتاب سماه بالسليمانية، ومنهم أيضًا أبو سعيد عمرو بن يزيد الذي قال عن سحنون: ما أعلم أحدًا يشبهه، وأول ما تعلمتُ من أحكام الصلاة[2]، ومواقيتها[3] وقد ورد قوله تعالى:{إِذَا ضَرَبْتُم فِيْ اَلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحَ أَنْ تُقَتصِّرُواْ مِنَ اَلْصَلاَة إِنْ خِفْتُمُ أَنْ يَفْتُنَّكُمْ اَلْذِين كَفَرُواْ إِنَّ اَلْكَافِرُون كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيْناً}[4]

7- أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن(299هـ/912م)، أخذ عن سحنون الموطأ والمدوّنة، وفي هذا الشأن قال عنه شيخه:" إن عاش هذه الشاب، فسيكون له نبأ، وهو أزهد أهل زمانه"[5]، عرف عنه أنّه كان يكره الشيعة، وبمقاطعته لهم.

كما أخذ عن سحنون العلم والفقه مجموعة من طلاب الأندلس الذين كان لهم دور في نشر فقه مالك بهذه المنطقة، بفضلهم أدخلت مدوّنته الكبرى إلى الأندلس، وقد اقتصرت على ذكر بعض منهم فقط :

من بين طلبة سحنون محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي عُتبة بن جميل العتبي، يكنى بأبي عبد الله (ت 255هـ/869م)، سمع بالأندلس من يحي بن يحي وسعيد بن حسان، كما سمع بالقيروان من سحنون، كان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل، كتب كتاب المستخرجة من الأسمعة المسموعة في فقه مالك، وهو الشهير بسم العتبية[6].

---

[1]- هو أبو الربيع سليمان بن سالم القطان المعروف بابن كحالة مولى لغسان، ولاه ابن طالب قضاء باجة، ثمّ ولي قضاء صقلية، فخرج إليها ونشر بها علما كثيرًا، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص 195.

[2]- رابح، بونار، المرجع السابق، 76.

[3]- أنظر الملحق الثاني، ص 75.

[4]- سورة النساء، الأية 101.

[5]- عياض، المصدر السابق،ج3،ص 247.

[6]- أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، ابن الفرضى (ت 403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، د/ت، د/ط، دار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية، 1966، ج2، ص6 ،7.

ومنهم أيضا عثمان بن أيوب بن أبي الصلت يكنى بأبي سعيد (ت267هـ)، من أهل قرطبة[1]، سمع من شيوخ الأندلس، ثمّ رحل إلى إفريقية وسمع من سحنون الفقه في القيروان[2]، وقيل أنّه أول من أدخل المدوّنة إلى الأندلس[3]، كما أخذ عن سحنون من أهل البيرة[4]، منهم سعيد بن النمر بن سليمان بن الحسين الغافقي، يكنّى بأبي عثمان[5]، سمع من شيوخ الأندلس[6]، ثمّ رحل إلى إفريقية وسمع من سحنون أحمد بن سليمان بن أبي الربيع (ت287هـ)[7] من رواة سحنون.

ومن أهل ألبيرة أيضًا إبراهيم بن شعيب الباهلي يكنى بأبي إسحاق (ت 295هـ/ 908م)[8]، يعتبر إبراهيم هذا من بين الذين ذاعت شهرتهم في علم الحديث، سمع من شيوخ الأندلس، ثم ذهب إلى المغرب وسمع من سحنون وابنه محمد، ثمّ عاد إلى البيرة لنشر بكل ما تعلمه من سحنون، توفي سنة 295هـ.

منهم الفقيه أحمد بن محمد بن عجلان من أهل سرقسطة[9]، سمع من سحنون

---

[1]ـ قُرْطُبة بضم أوله وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضا،والباء الموحدة، كلمة فيها أحسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز أن يكون القُرْطَبَة وهو العَدْوُ الشديد، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، ينظر، ياقوت، الحموي، المصدر السابق، ج4، ص324.

[2]ـ ابن الفرضى، المصدر السابق، ج1 ص302.

[3]ـ عياض، المصدر السابق، ص 137.

[4]ـ هي بليدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس، ولها مرسى تُرسى فيه السفن، ما بين مُرسية والمريّة، وهي جزيرة فيها اثنتا عشرة مدينة، ينظر ياقوت الحموي، المصدر أعلاه، ج1، 526.

[5]ـ عياض، المصدر أعلاه، ج3، ص156.

[6]ـ ابن الفرضي، المصدر أعلاه، ج1،ص 192.

[7]ـ نفسه، ص36.

[8]ـ نفسه، ص17.

[9]ـ سَرَقُسْطة: هي بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، معروفة بفواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، ينظر ياقوت الحموي، المصدر أعلاه، ج3، ص213، وما بعدها.

بالقيروان[1]، كما أخذ الفقه عن سحنون من أهل طليطلة[2]، عبد الله بن مسعود[3] الذي عرف عنه أنّه كان عالما بالقراءات، ومنهم كذلك محمد بن عبد الواحد (ت 264هـ)وكنيته أبو محمد كان صاحب فقه، ومنهم أيضًا حزم بن غالب الرعيني[4]، صاحب الصلاة والخطبة وأحكام القضاء، وكان مفتي بلده[5]، وكذلك عمر بن زيد بن عبد الرحمان له رحلة إلى المشرق وسمع من أصبغ بن الفرح[6] وغيره، ثمّ رحل إلى القيروان وسمع من سحنون، كان صاحب رواية وفقه وهو مفتي بلده[7]، يبدو أنّ سحنون تخرج من مدرسته العديد من طلاّبه من كل المناطق العالم الإسلامي الذين لم يترددوا في حضور مجالسه العلمية، وبذلك أصبحت القيروان مركزا علميا مثلها مثل المراكز العلمية التي حضي بها المشرق الإسلامي.

كان تأثير الإمام سحنون بن سعيد عظيماً، خاصة بعد عودته من المشرق، وتجلى ذلك في دوره في ترسيخ المذهب المالكي، وبمدوّنته التي جمع فيها الفقه المالكي حفظ هذا المذهب بالمغرب الإسلامي، وبفضل تلامذته ظل مذهب الإمام مالك سائداً بالمغرب الإسلامي إلى يومنا هذا.

---

[1]- ابن الفرضى، المصدر أعلاه، ص 24، وعياض، المصدر أعلاه، ج3،ص 164.

[2]- هي مدينة كبيرة لها خصائص محمودة بالأندلس، يتصل عملها بعمل واد الحجارة من أعمال الأندلس، وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة، وكانت قاعدة لملوك قرطبة، ينظر ياقوت، المصدر السابق، ج 4، ص 39، 40.

[3]- ابن الفرضى،المصدر السابق،ج1، ص 253.

[4]- نفسه، ج1، ص 137.

[5]- عياض، المصدر السابق، ج3، ص162.

[6]- ابن الفرضى، المصدر أعلاه، ج1، 364.

[7]- عياض، المصدر أعلاه ،ج3، ص163.

الفصل الرّابع: الإمام سحنون والسياسة في عهد الدولة الأغالبة.

أولاً: موقف الإمام سحنون من نظام حكم الأغالبة.

ثانيا: تولية الإمام سحنون قضاء إفريقية.

ثالثًا: أهم الإصلاحات والتنظيمات التي قام بها الإمام سحنون أثناء ولايته.

أولاً:موقف سحنون من نظام حكم الأغالبة:

لقد تأسست الدولة الأغالبة سنة 184هـ/800م على يد إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ) بالمغرب الأدنى، وقد تعاقب على حكمها أزيد من عشرة حكام، حيث كان لهم دور فعال في توفير الأمن والاستقرار بالمنطقة، لكن في نهايتها كثرت الفتن والإضطربات، غير أنّ سحنون بن سعيد عاصر خمسة أمراء الأغالبة الأوائل، لأنّ سحنون ولد في عام 160هـ / 776م، أي قبل قيام دولة الأغالبة حوالي 24 سنة عن تأسيس الدولة الأغالبة.

لم يكن لسحنون نشاط يذكر في علاقته مع المهالبة قبل تأسيس الدولة الأغالبة، بحيث عرفت هذه الفترة حكم المهالبة ببلاد إفريقية[1] ، والتي شهدت إفريقية في هذه الفترة نشاطاً ثقافيا كبيرا، وهذا راجع إلى الولاة من هذه العائلة أنفسهم، بل كان طوال حياته سواء كان مع المهالبة أو مع الأغالبة أنْ يكون وسيطاً بينهم وبين الناس[2]، حيث كان يُظهر أمره في المجتمع الأغلبي مفتياً يستشيره الأمراء وعامة الناس في شؤون الدين والدنيا مفتيا،باعتباره شيخا من شيوخ القيروان في ذلك الوقت، بحيث كانوا يعتمدون عليه فيما يخصهم في حياتهم، غير أنّ سحنون كان يكره الاتصال بذوي الجاه والنّفوذ من الأمراء وغيرهم[3].

لقد كانت علاقة سحنون بالأمراء الأغالبة قبل توليته القضاء شبه منعدمة، قد يعود السبب في ذلك إلى رحلته إلى المشرق، وبعد رجوعه من المشرق انصرف إلى تعليم في مسجد القيروان ، فكانت في ذلك تعقد مجالس المناظرات والمناقشات في المسجد الجامع التي كان يحضرها الفقهاء والعلماء ، وفي هذه المساجلات التي كان سحنون يبدي آراءه فيها، ومن خلال هذه المجالس انتشرت أخبار سحنون في البلاد كلها، حيث سمع عنه حكام الأغالبة، وهذا ما جعلهم يهتمون بأمره، بحيث حاولوا استمالته بالهدايا، حيث كان يرفض

[1]- بوبة، مجاني، المرجع السابق، ص 164.

[2]- محمد، زينهم،المرجع السابق، ص135.

[3]- سعدي ، أبو جيب، المرجع السابق، ص 69.

هدايا[1]، وقد كان موقفه هذا نتيجة لورعه وزهده، ومع هذا فإنّ المصادر لم تذكر لنا عن علاقته بالأمراء الأغالبة إبراهيم بن الأغلب، و ابنه أبو العباس عبد الله ، وأبو عقال بن إبراهيم، سوى بعض الإشارات.

وقد ظهر بعض الأمراء كانوا يظهرون العداء لفقهاء المالكية ، خاصة عندما تبنّوا الفكر المعتزلي، بحيث أمتحن عدد كبير من الفقهاء إفريقية " بالقول خلق القرآن"، وقُتل على إثرها عدد كبير من الفقهاء والعلماء القيروان من امتنع عن القول أنّ القرآن مخلوق، وفي هذا الشأن أورد الله تعالى قوله:{ مَاْ كَاْنَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابُ}[2]، ومن بين الفقهاء الذين امتحنوا في مسألة " خلق القرآن" سحنون الذي أمتحن في عهد زيادة الله الأول بن الأغلب (201-123هـ/817-837م)، فكان ردّ سحنون أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق[3]، ونتج عن ذلك أن فزُجّ به في السجن وحلق رأسه ولحيته[4]، وهذه الفتنة زادت من موقف سحنون العدائي تجاه أمراء بني الأغلب، وخاصة الأمير زيادة الله الأول الذي كان قد أمر من قبل بعقاب سحنون بضربه خمسمائة ضربة بسوط[5]، عقابا له على موقفه من قاضي القيروان محمد بن أبي الجواد[6] نتيجة لرفضه الصلاة وراءه في إحدى الجنائز[7]، ولكن تدخل الوزير علي بن حميد فمنع ذلك[8]، وخلّصه من هذه العقوبة، ومع هذا فكان في بعض الأحيان يزور الأمراء بني الأغلب من أجل تقديم النّصيحة وإبداء آراءه في مختلف القضايا،

---

[1]- سعد أبو جيب، المرجع السابق، ص 70.

[2]- سورة آل عمران، الأية 79، 80.

[3]- رابح، بونار، المرجع السابق، ص 78.

[4]- عمر، الجيدي، مباحث في المذهب المرجع السابق، ص41.

[5]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص285.

[6]- هو قاضي إفريقية قبل سحنون ، قال محمد وولي ابن أبي الجواد ،وكان مذهبه مذهب الكوفيين فيما بلغني ، وعزله محمد بن الأغلب سنة 233هـ ، وقال أبو العرب : لما عزل ابن أبي الجواد ، قال سحنون : اللهمّ ! ول هذه الأمة خيرها وأعدلها !فكان هو الذي ولي بعده، ينظر الخشني، طبقات علماء المصدر السابق، ص89، والنبّاهي، المصدر السابق، ص28.

[7]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، 93.

[8]- المالكي، المصدر أعلاه، ج1 ، ص 286.

خاصة إذا وجد أمرا يُمْلِيه الشّرع والمصلحة، ولا يخرج إلاّ بنصيحة يقرع بها أذن الأمير ومن حوله[1]، أمّا عن موقفه وسياسته نحو الأمراء الأغالبة ورجالهم بعد توليه لوظيفة قضاء إفريقية سنة 234هـ / 848م في عهد الأمير محمد بن الأغلب (226 - 242هـ/ 841 - 856هـ)، فسحنون لم يكن يهاب سلطانا في حق يقيمه عليه ، كما أنّه لم يأخذ على القضاء أجراً[2]، بحيث عُرف عنه كان كثيراً ما يرد الظلم من رجال بني الأغلب أيام ولايته في القضاء، كما عُرف عنه أيضاً أنّه أبى أن يقبل من الأمراء والولاة منهم الوكلاء في الخصومات الذين يرسلوهم[3] ، وكان دائما يصرُّ على أن يحضروا بأنفسهم ، وفي أيام قضائه كثرت شكاوي العامة والخاصة إلى الأمير محمد بن الأغلب، فكان الأمير في كل مرّة يُراسله ، وقال:" إنّ فيهم غلظة ، وقد شكوك ورأيت معاقاتك من شرِّهم ، فلا تنظر في أمرهم"[4]، لكن سحنون كان في كل مرة ينظر في حق المظلوم ويحكم بالعدل دون أن يمنعه الأمير في ذلك.

[1]- سعدي، أبو جيب، المرجع السابق، ص71.

[2]- أبو العرب ، المصدر السابق، ص ص 184، 185.

[3]- المالكي، المصدر السابق ، ص 279.

[4]- الدباغ ، المصدر السابق،ج2، ص 94.

ثانياً: تولية الإمام سحنون قضاء إفريقية:

إنّ سحنون بن سعيد الذي عاصر حكم بني الأغلب بإفريقية لم يكن فقيه من فقهاء القيروان، بل أصبح قاضي إفريقية، بعدما اشتهر بالعلم والفضل والورع والعدل على أهل إفريقية وكل هذه الفضائل التي تحلى بها دفعت به بأنْ يكون قاضيا.لقد أجمعت المصادر على أنّ سحنون بن سعيد التنّوخ يتولي قضاء إفريقية سنة 234هـ/ 848م، وهو يومئذ ابن أربع وسبعين سنة، وقد دامت مدته ست سنين[1]، وقد تولى هذا المنصب في عهد محمد بن الأغلب التميمي أميرها لجعفر المتوكل[2] أيضاً سنة 234هـ [3]،فلم يزل قاضيا إلى أن توفي في صدر رجب سنة 240هـ[4] ، غير أنّ ابن وردان ذكر لنا أنّ في ولاية أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب كانت ولايته قبل المعتصم[5] في السنة خمسة وأمّنت السبيل في أيامه وكان على عهد الإمام سحنون بن سعيد[6]، ومن خلال ما ذكره ابن وردان نستنتج أنّه أورد معلومة خاطئة باعتباره نقل عن سابقيه لأنه من مؤرّخي القرن التاسع للهجرة.

---

[1]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 185، القاضي عياض، المصدر السابق، ج2 ، ص596.

[2]- هو أبو جعفر هارون الخليفة العباسي لقب بالواثق بالله، تولي الخلافة سنة 227هـ ، تبع أباه في القول بخلق القرآن،و لكنّه رجع عنه في أخر أمره ، توفي سنة 233هـ ،وقيل سنة 234هـ، ينظر محمود مقديش، المصدر السابق، ص255وما بعدها.

[3]- ذكر ابن فرحون: أنّ سحنون ولي القضاء إفريقية سنة 284هـ، وهذا الأمر مستبعد وغير منطقي لأنّ سحنون توفي قبل هذه السنة بكثير أي سنة 240ه، ابن فرحون، المصدر السابق، ص 265.

[4]- أبو مروان ، ابن حيّان القرطبي (ت 469هـ/ 1076م) ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وعلق عليه محمود علي، مكيّ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، 1415هـ، 1994م، ص ص 188، 189.

[5]- هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد ، ولقب بلقب المعتصم بالله، بويع له بالخلافة سنة 218هـ، كان أمّياً ، وكان شأن ملكه بالتعصب لأخيه في القول بخلق القرآن ، ووصلت هذه البدعة في عهده إلى بلاد المغرب،توفي سنة 227هـ، ينظر محمود مقديش، المصدر أعلاه، ص ص 253، 254.

[6]- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة ، دراسة و تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم، محمد عزب، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط 1، 1408هـ/ 1988م، ص57.

وتذكر المصادر أنّه لما أراد الأمير محمد بن الأغلب تولية سحنون قضاء إفريقية ، جمع الفقهاء والعلماء للمشورة[1] ، ليأخذ رأيهم في من يتولى أو يتقلد منصب قاضي بإفريقية، وأثناء الشورى، أشار سحنون بسليمان بن عمران[2]، وأشار سليمان بسحنون !، وأشار غيرهما بسليمان[3]، فإذا كانت الغالبية أشارت على الأمير بأن يكون سليمان هو الأحق بأن يكون قاضي إفريقية، كيف إذن أصبح سحنون قاضيا ؟

إذا كان سحنون لم يل القضاء إلاّ وهو شيخا عن عمر يناهز 74 سنة ، فكان في الحقيقة، لم يكن سحنون راغب في قبول هذا المنصب، والدليل على ذلك هو أنّه لم يقبل أن يتقاضى أجرا على ذلك، وهو ما عبّر عنه ابن فرحون بقوله": وكان سحنون لا يأخذ لنفسه رزقاً، ولا صلة من السلطان في قضائه كله، ويأخذ لأعوانه وكتّابه وقضاته من جزية أهل الكتاب"[4]، فإذا قبل بهذه الوظيفة إمّا بعدما ألحّ عليه الأمير محمد بن الأغلب كثيرا ، وذلك بعد أن راجعه في ذلك عاما كاملا، وهو يأبى عليه[5]، أو كما يذكر القاضي عياض أنّ الأمير محمد بن الأغلب بعث محمد بن قادم إلى سحنون ليوليه القضاء[6]، وقد كان رد سحنون لمبعوث الأمير قل له أصلح الله الأمير، أنا لا أقوى عليه ، أدُلُك على من هو أقوى ، سليمان بن عمران[7]، يبدو أنّ كثرة إلحاح الأمير الأغلبي عليه، جعله يقبل هذا المنصب بعدما وعده بعدم تدخله في شؤون القضاء، وبالمقابل فرض سحنون عليه شروط كثيرة قبلها وأعطاه الأمير كلّ ما سأله[8]، ومن بين هذه الشروط منها: أن يبدأ في مقاضاة أهل بيت الأمير و

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 272.

[2]- هو سليمان بن عمران الإفريقي ، المعروف بأبي الغرانيق، فكان على فقه أهل الكوفة (المذهب الحنفي) ، يروي عن أسد بن الفرات، ولي قضاء إفريقية بعد سحنون، توفي سنة 269هـ، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص196، و الخشني، قضاة قرطبة المصدر السابق، ص 306.

[3]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص85.

[4]- ابن فرحون ، المصدر أعلاه، ص 265.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 109.

[6]- عياض، المصدر السابق، ج2، 596.

[7]- المالكي، المصدر أعلاه، ص 273.

[8] -الدباغ، المصدر أعلاه، ص 74.

قرابته وأعوانه من حاشيته وخدمه، أنْ لا يتدخل الأمير فيما يصدره من أحكام قضائية في حق من تسبب في إثارة المشاكل والظلم للمظلوم بمعاقبته، وأن ينفّذ الحق على الظالم مهما كانت الأسباب، وفي هذا الشأن عبر عنه ابن عذارى بقوله: "حتى حلف له الأيمان المؤكدّة وأعطاه العهود المغلظة أنّه يطلق يديه على أهل بيته وقرابته خدمته وحاشيته وينفّذ عليهم الحق ، أحبّوا أو كرهوا"[1]، وبفضله شهدت إفريقية أثناء ولايته العدل والأمان، كما أدخل جديد في وظيفة القضاء، حيث نظر في أمر الأسواق، وأدّب المجتمع الأغلبي على الإيمان.

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص109.

ثالثاً: أهم الإصلاحات والتنظيمات التي قام بها الإمام سحنون أثناء ولايته:

يعدُّ سحنون بن سعيد التنّوخي أكبر شخصية قضائية ظهرت في عصر الأغالبة، وتحلت بمزايا فكرية وإدارية كان لها تأثير على قضاء عصره، وحتى من بعده عند معظم القضاة، بحيث وضع نظامًا جعل القضاء مرتبًا ومحكمًا[1]، وهذا ما يتجلى في عدّة إنجازات قضائية بإفريقية التي قام بها القاضي سحنون أثناء ولايته وتظهر هذه الإصلاحات والتنظيمات والتشريعات في الحياة الاجتماعية بإصلاح المجتمع الأغلبي والاقتصادية لاهتمامه بأمر الأسواق من خلال تطبيقه للشريعة الإسلامية، برغم من قصر مدة قضائه بإفريقية والتي لم تتجاوز ست سنين، إلاّ أنّه يعتبر أول قاضي أدخل الجديد في وظيفة القضاء، بحيث تميّزت فترة قضاء سحنون بالعدل، والدليل على ذلك هو ما قاله عيسى بن مسكين: " فحصل الناس بولايته على شريعة من الحق ، ولم يل قضاء إفريقية مثله"[2].

كان سحنون بن سعيد يؤدّب النّاس على الإيمان التي لا تجوز من الطلاق[3] إلاّ لأسباب، و العتق[4] حتى لا يحلفوا بغير الله[5]، وقد ورد قوله تعالى:{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ ذَالِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الأَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا}[6] بتطبيق بما ورد في فقه مالك، ويؤدّبهم على سوء الحال في لباسهم وما نُهي عنه، ويأمرهم بحسن السيرة والقسط[7]، فهو يعتبر أول من نظر إلى مصلحة العامة عن طريق تأديبهم على الإيمان.

---

[1]- رابح، بونار، المرجع السابق، ص 76.

[2]-المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 277.

[3]- أنظر الملحق الثالث، ص 77.

[4]- العِتْقُ: خلاف الرِّق ، وهو الحُريّة ، وكذلك العَتاق بالفتح ، و العتاقة ، عتق العبد يعْتِقُ عِتْقاً وعَتْقاً و عَتَقاً وعَتَاقَةً ، فهو عَتِيقٌ وعاتِقٌ، وجمعه عُتقاءُ، ينظر ابن منظور ، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 2798.

[5]- أنظر الملحق الرابع، ص78.

[6]- سورة الطلاق، الأية 02.

[7]-النباهي، المصدر السابق، ص29 والقاضي عياض المصدر السابق، ج2 ، ص599.

كما كان في قضائه يكتب للناس أسماءهم في رقاع تجعل بين يديه ، ويدعو بهم واحدًا واحدًا إلاّ أن يأتي مضطر أو ملهوف[1] ، ثمّ يقدم النظر في أمره، وكان أيضا كثيرا ما يؤدّب بلطم القفا[2]، وهذا الضرب نوع من التعزيز، وفي هذا الصدد ذكر لنا المالكي "أنّ سحنون قيّد امرأة كانت تشتهر بسوء"[3]، لكن أطلق سراحها عندما تابت، كما حكى ابن اللبّاد أنّ رجلاً حلف بالطلاق وهو يختصم مع صاحبه في حائط بينهما ، فأمر سحنون بضربه في قفاه[4].

كما عرف عنه في مجلسه القضائي ، وما كان يصدر منه من أحكام أنّه كان يضرب الخصوم إذا آذى بعضهم بعضًا بكلام ، أو تعرّضوا للشهود[5]، حيث كان يعتمد على شهادة الشهود في مجلسه القضائي[6] كان يقول : إذا تُعرِّض للشهود كيف يشهدون؟ ويؤدِّبُ الخصْم إن طعن على الشاهد بعيب أو بجرح، ويقول للخصم: أنا أغنى بذلك منك، وهو عليَّ دونك[7]، وكل هذا دليل على أنّ سحنون تميّز بالحكمة والعدل في مجلسه القضائي، بحيث كان ينظر في أمر الشهود وأخذ بما يدلون به من ، وكان إذا دخل عليه الشاهد ورعب منه أعرض عنه ، حتى يستأنس وتذهب روعته، فإن طال ذلك به هوِّن عليه، يبدو أنّ سحنون كان يهابه الناس من خلال شخصيته ، بحيث إذا دخل عليه الشاهد، كان يقول له: ليس معي سوط ولا عصا ، ولا عليك بأس ، أدّ ما علمت ، ودع ما لم تعلم[8]،

كما يعتبر سحنون أول من جعل في الجامع إماماً يصلي بالناس[9]، رغم أنّ هذا العمل لم يكن من صلاحياته ، وكان يشرف على هذا العمل الأمراء فقط، كما جعل الودائع

---

[1]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 266.

[2]- عياض، المصدر السابق، ص 601.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ص 277.

[4]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 89.

[5]- المالكي ، المصدر أعلاه، ص 276.

[6]- أنظر الملحق الخامس، ص 79.

[7]- ابن فرحون، المصدر أعلاه، ص 265.

[8]نفسه، ص266.

[9]- المالكي، المذكور أعلاه،ج 1، ص 277.

عند الأمناء[1]، وكانت قبل ذلك في بيوت القضاة ، وهو أول من قدم في البوادي وكان يكتب إليهم[2]، فهو أول القضاة فرّق حلقات أهل البدع من المسجد الجامع وشرّد أهل الأهواء منها[3]، حيث قال الله تعال: { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ}[4]، وكان قبل ذلك يجتمعون فيه ويتناظرون في مذاهبهم الفاسدة مثل الإباضية والصفرية والزنادقة والمعتزلة[5] ،يتناظرون في المسجد ويظهرون زيغهم، فمنعهم سحنون من الاجتماع في الجامع، وعزلهم ألاّ يكونوا أئمة للناس، أو معلمين لصبيانهم.

كان سحنون يجلس للقضاء في بيت الجامع الذي بناه لنفسه[6]، إذا رأى كثرة الناس و كثرة كلامهم ،وظلامهم، فهو كان لا يحضر عنده غير الخصمين ، فهو لا يسمح بالدخول عليه إلاّ الخصمين وكذا من يشهد بينهما .

أمّا فيما يخص الأسواق، فقد نظر سحنون فيما يصلح من المعاش وما يغش من السلع[7]، وجعل من الأمناء الذين يثق فيها على الأسواق، كما أدّبهم على الغش ، ونفي من الأسواق من يستحق ذلك، وهو أول من نظر في الحسبة[8] من القضاة وأمر الناس بتغيّير المنكر، فلم تعرف إفريقية وظيفة المحتسب إلاّ في عهد سحنون، فهو يعتبر أول من قام بوظيفة المحتسب، وأقام على هذه الوظيفة نواب مختصون بالحسبة، وبرغم من أنّ النّظر في الأسواق ليس من اختصاص القضاة، بل كان ينظر في الأسواق الولاّة دون القضاة، كما

---

[1]ـالدباغ ، المصدر السابق، ج2، ص88.

[2]ـ محمد زينهم، المرجع السابق، ص 153.

[3]ـ عياض، المصدر السابق، ج2،ص 600.

[4]ـ سورة التوبة، الآية 17.

[5]ـ ابن وردان، المصدر السابق، ص 58.

[6]ـ المالكي ، المصدر السابق ص277.

[7]ـ محمد ، زيتون، المرجع السابق، ص 263.

[8]ـ الحسبة من الإحتساب أي من حسن التدبير في الأمر ، وهي لفظ غير قرآني يجري استعماله للدلالة على الواجب، وهي خطة الشخص المكلّف فعلا داخل المدينة بتطبيق هذا المبدأ في مجال السهر على التزام مكارم الأخلاق وعلى توخي النزاهة والأمانة في التعامل التجاري بالأسواق، ينظر أحمد صبحي، منصور ، الحسبة دراسة أصولية تاريخية،مركز المحروسة للنشر، ط1، 1995، ص 7، ومحمد الطالبي، دائرة المعارف التونسية المرجع السابق، ص180.

كان لا يأخذ لنفسه أجرا ولا يقبل من الأمراء شيئا، بل كان يأخذ لأعوانه وكتابه وقُضاته من جزية أهل الكتاب.

كما عرف عن سحنون أنّه كان يُولي قضاء الإقليم بعض الأحناف، ورغم أنّه مالكي المذهب، إلاّ أنّه ولى سليمان بن عمران قضاء بجاية وباجة[1] والأبرس، والدليل على ذلك هو ما قاله سليمان : ولّاني سحنون القضاء ، وقال: عليك يا أبا ربيع بالحجازية ، فقلت: القاضي مفت ، فما كنت أفتى به فبه أقضي فسكت عنّي[2]، كما كان يكتب مراراً إلى أعوانه يأمرهم بقتل الكلاب[3] المنتشرة ، وذلك لانتشار داء الكلب، لأنّه عرف عنه أنّه كانت له معرفة بالطب[4].

لقد تميّزت إفريقية في فترة حكم الأغالبة ومع تولي سحنون قضاء إفريقية بالعدل والهدوء، وانتشار الأمن الاستقرار عمّا كان من قبل ، بفضل الإمام والفقيه سحنون بن سعيد التنّوخي مع علمه وفهمه ودقّته، ولما توفي سنة 240هـ/ 854م رحمة الله عليه، وهو لا يزال قاضيا ،رجّت القيروان خاصة وإفريقية عامة لموته رحمة الله عليه.

---

[1]ـ هي مدينة قديمة بإفريقية، تعرف بباجة القمح، سميت بذلك لكثرة حنطتها، وهي كثيرة الأنهار، تقع هذه على جبل يقال له عين الشمس في هيئة الطيلسان يطرّد حواليها، ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1، ص214، وابن حوقل، المصدر السابق،ص 50.

[2]ـ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 275، وأبو العرب، المصدر السابق، ص 184، وعياض، المصدر السابق، ج2، ص 598.

[3]ـ عياض، المصدر أعلاه، ص 601.

[4]ـ محمد ، زيتون، المرجع السابق، ص 264.

الخاتمة

خاتمة:

أردت من خلال هذه الدراسة إبراز دور أحد الشخصيات في نشر المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، حيث أنّ سحنون بن سعيد التنّوخي (160هـ -240هـ/ 774م -854م) يعد من أبرز العلماء الذين ساهموا في غرس جذور المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، وهذا راجع إلى التكوين العلمي لسحنون، الذي ساعده في لعب هذا الدور من خلال رحلته إلى المشرق، بحيث أخذ الفقه المالكي على كبار شيوخ من أصحاب مالك بن أنس من أمثال عبد الرحمان ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب بمصر وعبد المالك بن الماجسون ومعن بن عيسى بالمدينة، ووكيع بن الجراح بمكة وغيرهم، ثمّ قدم إلى إفريقية، بعدما كان قد تشبّع بهذا المذهب.

وقد انتقلت إليه رئاسة العلم بالمغرب، خاصة في عهد الأغالبة خلال نهاية القرن الثاني الهجري، نهاية القرن الثامن الميلادي، وكثر طلابه الوافدين إليه من كل مناطق العالم الإسلامي، وقد كان تأثير سحنون عظيما بإفريقية، وعنه انشر مذهب مالك، و بمدوّنته حفظ هذا المذهب بالمغرب كله التي جمع فيها فقه مالك، وكذا في سلوكه الأخلاقي، من خلال نظمه القضائية وكذا الطابع الحضاري والديني الذي أصبغه على عصره والعصور التي أتت من بعده، و من خلال ما ذكره المؤرخين وحتى المستشرقين منهم في أنّه يرجع له الفضل في نشر المذهب المالكي، وبفضله وفضل مدوّنته انتشر هذا المذهب بالمغرب الإسلامي وحتى الأندلس التي كانت على المذهب الأوزاعي، ثمّ أصبحت مالكية المذهب، وهذا راجع إلى تلامذة سحنون الذين كان لهم الفضل في نقل أصول فقه مالك إلى الأندلس، وكذا مدوّنته.

و الحقيقة التي لا يمكن أن يتغاضى عنها هو أنّ المذهب المالكي، كان منتشراً من قبل، لكن تجسد وترسخ هذا المذهب بالمغرب الإسلامي بفضل جهود سحنون بن سعيد ومدونته التي شهدت انتشاراً واسع، وبالرغم ما تميّز به سحنون بن سعيد، إلاّ أنّ تلامذته واصلوا من بعده الحفاظ على المذهب المالكي بالمنطقة، خاصة أنّ هذا المذهب تعرض لعدة انتكاسات بسبب وجود المذهب الشيعي الإسماعلي بالمنطقة، لكن بفضل جهود هؤلاء

التلاميذ المتشبعين بالمذهب المالكي بقي هذا المذهب سائدًا بالمغرب الإسلامي إلى يومنا هذا.

ومجمل القول فإنّ موضوع سحنون كهذا مازال بحاجة إلى دراسة أعمق وأدق ولن يتحقق ذلك، ولا يمكن الإحاطة بكل جوانبه، إلاّ بتخصيص وقت كافي باكتشاف وثائق نادرة، كالمخطوطات مازالت لم تكشف عنها بعد، من أجل إبراز جوانب أخرى ربّما تكون قد غابت عني في هذه الدراسة.

الملاحق

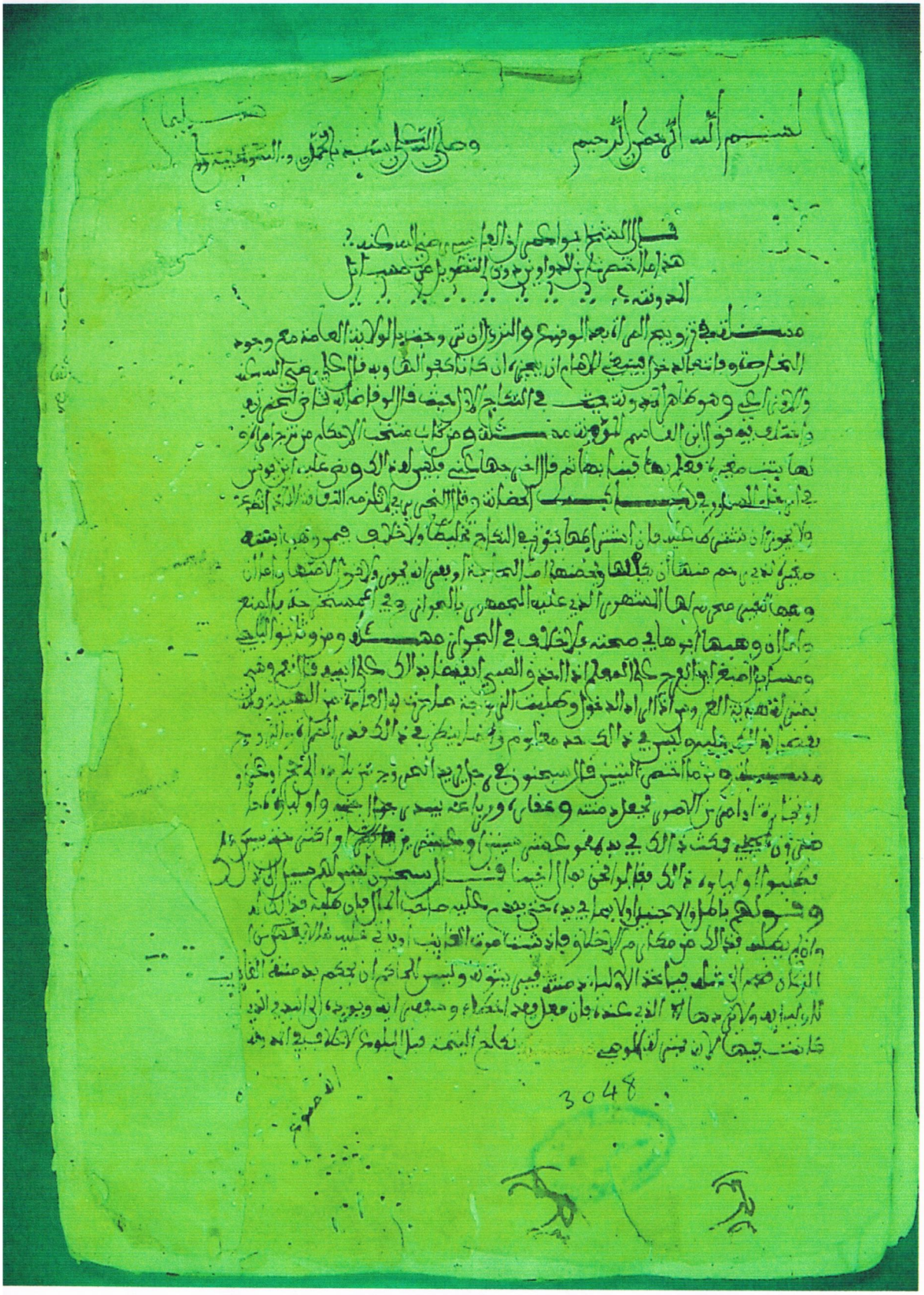

أبو عمران الفاسي ، مختصر عن مسائل المدونة ، مخطوط بمصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 3048

الملحق الثاني: رسالة حول وقت الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيّدنا محمد نبيّه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم

ما جاء في وقت الصلاة

قال سحنون قال ابن القاسم: قال مالك أحبُّ ما جاء في وقت صلاة الظهر إليّ قول عمر بن الخطّاب أن صلوا الظهر والفيء ذراع قال ابن القاسم قال مالك: وأحبّ إليّ أن يصلي النّاس الظهر في الشتاء والصيف والفيء ذراع، قال: إنّما يُقاس في الشتاء والصيف، لأنّه ما دام في نقصان، فهو غدوة بعد، فإذا مدّ ذاهباً فمن ثم يُقاس الذراع من ذلك الموضع، فإذا كان الفيء ذراعاً صلوا الظهر حين بقيّ الفيء ذراعاً، قال مالك: وقد كان ابن عمر ربّما ركب في السفر بعدما يفيء الفيء ذراعاً، فيسير الميلين والثلاثة قبل أن يصلي الظهر، قال ابن القاسم ما رأيتُ مالكاً يحدد في وقت العصر قامتين، ولكنّه فيما رأيته يصف كان يقول والشمس بيضاء نقية. قال سحنون عن ابن القاسم عن مالك عن نافع عن ابن عمر أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى عماله إنّ أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها حافظ عليها حفظ دينه من ضيعها، فهو لما سواها أضيع، ثم كتب: أن صلوا الظهر إذا كان الفيء ذراها إلى أن يكون ظل أحدكم مثله والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، قال مالك: ووقت المغرب إذا غابت الشمس للمقيمين، وأمّا المسافرين فلا بأس أن يمدوا الميل ونحوه، ثم ينزلون ويصلون وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أقام له جبريل الوقت في يومين جميعا المغرب في وقت واحد حين غابت الشمس، وقد كان ابن عمر يؤخرها في السفر قليلا. قال ابن القاسم وسألنا مالكاً عن الحرس في الرباط يؤخرون صلاة العشاء إلى ثلث الليل، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، وكأنّه كان يقول: يصلون كما تصلي الناس، وكأنّه يحتسب وقت الناس الذين يصلون فيه العشاء الأخيرة يؤخرون بعد مغيب الشفق قليلا، قال: وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر فلم يؤخروا هذا التأخير، قلت: فما وقت صلاة الصبح عند مالك؟ قال: الإغلاس والنّجوم بادية مشتبكة، قلتُ: فما آخر وقتها عنده؟ قال: إذا أسفر، وقد قال عمر في كتابه إلى أبي موسى الأشعري

أن صل الصبح والنّجوم بادية مشتبة، قال ابن القاسم: ولم أر مالكاً يعجبه هذا الحديث الذي جاء: إنّ الرجل ليصلي الصلاة وما فاتته، ولما فاته من وقتها أعظم أو أفضل من أهله وماله، وقال: وذلك أنّه كان يرى هذا أنّ النّاس يصلون في الوقت بعدما يدخل ويتمكن ويمضي منه بعضه الظهر والعصر والعشاء والصبح، فهكذا رأيته يذهب إليه ولم أتجرئ على أن أسأله عن ذلك، قال مالك: وقد صلى الناس قديماً وعرف وقت الصلوات.قال: وقال مالك: ويغلس في السفر في الصبح، فقلت له: هل يقرأ فيها{وبالسماء ذات البروج} سورة البروج الآية01، {ووسبّح} سورة الأعلى الآية01،وما أشبههما، قال: إنّي لأرجو أن يكون ذلك واسعا وإلا كرياء يعجلون الناس.

سحنون بن سعيد التنّوخي، المدوّنة، المصدر السابق، ج1، ص ص 156، 157.

الملحق الثالث: رسالة طلاق السنّة

بسم الله الرحمن الرّحيم

كتاب طلاق السنّة

طلاق السنّة

قال سحنون قلتُ لعبد الرحمان بن القاسم: هل كان مالك يكره أن يطلق الرجل امرأته ثلاث تطليقات في مجلس واحد؟ قال: نعم كان يكرهه أشدّ الكراهية ويقول طلاق السنّة أن يطلق الرجل امرأته تطليقة واحدة طاهراً من غير جماع، يتركها حتى يمضي لها ثلاثة قروء ولا يتبعها في ذلك طلاقاً، فإذا دخلت في الدم من الحيضة الثالثة، فقد حلت للأزواج وبانت من زوجها الذي طلقها.

قلتُ: فإن أراد أن يطلقها ثلاث تطليقات عند كل طهر أو حيضة تطليقة؟ قال: قال مالك: ما أدركتُ أحدًا من أهل بلدنا يرى ذلك ولا يفتي به ولا أرى أن يطلقها ثلاث تطليقات عند كل طهر طلقة، ولكن تطليقة واحدة ويمهل حتى تتقضى العدّة، كما وصفت لك. قلتُ: فإن هو طلقها ثلاثاً أو عند كل طهر واحدة حتى طلّق ثلاث تطليقات أيلزم ذلك في قول مالك؟ قال: نعم، قلتُ: هل كان مالك يكره أن يطلق الرجل امرأته في طهر، قد جامعها فيه أم لا؟ قال: نعم كان يكرهه ويقول: إن طلقها فيه فقد لزمه. وقلتُ: وتعتد بذلك الطهر الذي طلقها فيه؟ قال: نعم.

سحنون، المصدر السابق، ج2، ص3.

الملحق الرابع: رسالة في العتق

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العتق الأول

قلت: أرأيت التدبير والعتق بيمين أمختلف هو؟ قال: نعم، لأنّ العتق بيمين إذا حنث عتق عليه إلاّ أن يكون جعل حنثه بعد موت فلان أو بعد خدمة العبد إلى أجل كذا وكذا، فيكون كما قال: قلتُ:والعتق عند مالك واجب لأنّه شيء قد أنفذه وبتله، والتدبير واجب لأنّه إيجاب أوجبه على نفسه، واليمين في العتق لازمة والوصية بالعتق عدة إن شاء رجع فيها؟ فقال: نعم، هذا كله كذلك عند مالك. قلت أرأيت إن قال الله عليّ عتق رقيقي هؤلاء، أيُجبر على عتقهم أم لا؟ قال: لا يحبر على عتقهم إن شاء أعتقهم وإن شاء حبسهم. قلت: وهذا قول مالك؟ قال: هذا رأيي. قلتُ فإن كان يرى ذلك عليه واجبًا لِمَ لا يعتقهم عليه؟ قال: إنّما هذه عدّة جعلها لله من عمل البرّ فلا يُجبر على ذلك ولكنّه يُؤمر بذلك، وإنّما الذي يعتقه عليه السلطان عند مالك أن لو كانت يمينه عتقهم فحنث فيها أو أبت عتقهم بغير يمين، فأما إذا كان نذْراً منه أو موعداً، فإنّما يؤمر بأن يبقى ولا يُجبر على ذلك.

سحنون، المصدر السابق، ج2، ص387.

الملحق الخامس: رسالة في القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب القضاء

قلت: هل كان مالك يرى للقاضي إذا قضى بقضية، ثمّ تبيّن له أن غير ما قضى به أصوب ممّا قضى به، أله أن يردّ قضيّته، ويقضي بما رأى بعد ذلك، وإن كانت قضيته الأولى، مما قد اختلف فيها العلماء؟ قال: إنّ ما قال مالك: إذا تبيّن له أن الحق في غير ما قضى به رجع فيه، وإنّما الذي لا يرجع فيما قضت به القضاة، مما أختلف الناس فيه.

قال: فقلنا لمالك: أفيضرب القاضي في المسجد؟ قال: أما الأسواط اليسيرة مثل الأدب فلا بأس، وأما الحدود وما أشبهها فلا. قلت هل سمعت مالكا يقول: يضرب القاضي الخصم على اللدد؟ قال: نعم، يضرب إذا تبيّن له أنّه قد ألدّ وأنّه ظالم. قلت: هل كان مالك يقول: لا يقضي القاضي بشهادة الشهود حتى يسأله عنهم؟ قال: قال مالك نعم، يسأل في السّر عنهم. قلت فهل يقبل تزكية واحدة؟ قال: قال مالك: لا يقبل في التزكية أقل من رجلين. قال ابن القاسم: قال مالك: من النّاس من لا يسأل عنهم وما يطلب منهم من التزكية لعدالتهم عند القاضي. قلتُ: ويزكى الشاهد وهو غائب عن القاضي؟ قال: نعم. قلت: أرأيت إذا زكوا في السرّ أو العلانية، أيكتفي بذلك مالك؟ قال: نعم إذا زكّاه رجلان أجزأه.

سحنون، المصدر السابق، ج4، ص13.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

ـ سورة البقرة:

{ يَسْئَلُونَكَ عَنْ الخَمْرِ والْمَيْسَرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَنَافِعُ لِلْنَّاسِ و إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُون قُلِ اَلْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَكُمْ تَتَفَكَّرُونْ**}** الآية 219، ص 16.

ـ سورة آل عمران:

{ مَاْ كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابُ**}** الأية 79،80. ص61.

ـ سورة الأنعام:

{ وَ أَن أَقِيمُواْ الْصَلاَة وَاتَّقُوهُ وَهَوَ اَلْذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونْ**}** الآية 72، ص 33.

{ إِنَّ الذِيْنَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِيْ شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**}** الآية 160، ص46.

ـ سورة النّساء:

{ وَإِذْ ضَرَبْتُمْ فِيْ اَلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحَ أَنْ تُقصِرُواْ مِنَ الصَّلاَة إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتَنَكُم الذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ اَلْكَافِرِين كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً**}** الآية 101، ص56.

{ يَاْ أَهْلُ اَلْكِتَاب لاَ تَغْلُواْ فِيْ دِيْنَكُم وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اَللهِ إِلاَّ الْحَق**}** الآية 171، ص 16.

ـ سورة التوبة:

{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يُعَمِّرُواْ مَسْجِدَ اَللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**}** الآية 17، ص 68.

ـ سورة النّحل:

{ فَسْأَلُواْ أَهْل اَلْذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون**}** الأية 43. ص43.

ـ سورة القصص:

{ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ اَلْخِيرَة**}** الآية 68. ص43.

ـ سورة الطلاق:

{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ ذَالِكُم يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الأَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا**}** الأية 02. ص 66.

ـ سورة الملك:

{ أَلاَ يعْلمَ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**}** الآية 14، ص28.

فهرس الأعلام:

- أحمد بن حنبل: 26.

- أحمد بن محمد :57.

- أحمد بن سليمان بن الربيع: 57.

- أسد بن الفرات: 12-16- 24-25-27-28-33-50-51-52.

- أصبغ بن الفرح: 41-42-58.

- أشهب بن عبد العزيز: 33- 36-41-71.

- أبي إبراهيم أحمد بن محمد:18-20- 55.

- إبراهيم بن الأغلب: 11-12-14-60-61.

- إبراهيم بن شعيب:57.

- ابن إدريس: 13.

- أبا إسحاق: 12.

- أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد: 19.

- البهلول بن راشد: 25- 28-32-39- 40.

- جلاجل: 12.

- جمال الدين أبا عمرو:51.

- جعفر المتوكل: 63.

- هارون الرشيد: 13-14.

- وكيع بن الجراح:44 -71.

- زيادة الله بن إبراهيم الأول: 14- 15-16-28-47-61.

- أبي زياد بن زرعة الرعيني: 38.

- زيادة الله بن محمد الثاني:19.

- زيادة الله بن عبد الله الثالث: 21.

- حبيب بن سعيد: 33- 38.

- حزم بن غالب الرعيني: 58.

- حمديس القطان: 33- 49 -55.

- أبو حنيفة:23-46-52.

- يوسف جبلة بن حمود:49-56.

- يحي بن يحي:56.

- ابن اللبّاد: 67.

- الليث بن سعد: 12-44.

- مالك بن أنس: 23-24-25-26-34-35-36-37-38-40-42-43-44-46-47- 48-50-51-52
- 53-54-55- 56-66-71.

- المأمون: 14- 15-16.

- موسى أبو هارون: 37.

- محمد بن أبّان:32.

ـ محمد بن أحمد العتبي:56.

ـ محمد بن الأشعث:11.

ـ محمد بن الأغلب: 17-18-34-62-63-64.

ـ محمد بن أبي الجواد: 47-61.

ـ محمد بن حارث: 48.

ـ محمد بن سحنون:18-19- 31-34-35-36-37-54-55- 56-57.

ـ محمد بن عبد الله بن قيس أبو محرز:11- 26-27 -28.

ـ محمد بن عبد الواحد:58.

ـ محمد بن عبدوس: 27-48-55.

ـ محمد بن قادم: 64.

ـ أبو محمد الضرير الأنصاري:18.

ـ مطرف بن عبد الله:43.

ـ مسعود بن أشرس: 25-32.

ـ معاوية الصمادحي: 32.

ـ معن بن عيسى القزاز: 43-71.

ـ المعتصم بالله: 63.

ـ سحنون بن سعيد التنّوخي:17-23-25-26-27-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40

-41-42-43 -44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-56-57-58-59-60-61-62

-63-64-66-67-68-69-71.

ـ سليمان بن سالم: 56.

ـ سليمان بن عمران:64-69.

ـ سعيد بن الحداد: 49.

ـ سعيد بن حسان: 56.

ـ سعيد بن النمر بن سليمان:57.

ـ أبو سعيد عمرو بن يزيد: 30-56.

ـ سفيان بن عيينة: 44.

ـ عبد الله بن إبراهيم: 14-61-63.

ـ عبد الله بن وهب: 36-41-71.

ـ عبد الله بن أبي حسان: 28-39.

ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد: 18-19.

ـ عبد الله بن محمد الأشج: 28.

ـ عبد الله بن مسعود:58.

ـ عبد الله بن عبد الحكم:42.

ـ عبد الله بن فروخ: 24- 33- 38.

ـ عبد الله بن غانم: 11-12- 24-33-38.

ـ عبد الله بن غافق:20- 48-55.

- عبد الرحيم بن الأشرس:38.

- عبد الرحمان بن القاسم: 33- 35-36-37- 40-41-50-51-52-53-71.

- عبد المالك بن الماجسون: 41-42- 43-44-71.

- أبو العباس عبد الله بن إبراهيم: 20-21.

- عيسى بن مسكين: 27-32-34-49-55-66.

- علي بن زياد: 24-28-35-39-40-46.

- علي بن حميد: 61.

- ابن عمر:49.

- عمر بن زيد بن عبد الرحمان: 58.

- عمر بن عبد العزيز: 22.

- أبو عقال الأغلب بن إبراهيم: 16-17-61.

- عثمان بن أيوب بن أبي الصلت: 57.

-ابن راشد: 37.

- الشافعي: 26.

- شقران بن علي: 39.

- أبي خارجة: 38.

- خديجة بنت سحنون: 34.

فهرس القبائل و البلدان:

- الأبرس: 69.

- أجدابية:33.

- الأندلس:34- 54- 56-57- 71.

-إفريقية:10-11-12-13-14-16-17-18-19-20-22-23-24-26-27-28-29-31-32-33-34-36-38-39-40-43-45-46-47-48-51-57-59-60-61-62-63-64- 65-66-68-69-71.

- باب نافع: 34.

- باجة: 69.

- بجاية: 69.

- البيرة: 56-57

- بني سعد بن زيد مناة:11.

- دار الهجرة: 42.

- الزاب: 12.

- الحجاز: 24-25-36-69.

- حمص: 31.

- طليطلة: 58.

- طرابلس: 14-37.

- الكوفة:24- 44.

- المدينة المنورة:24- 35-37-42-43-44-46-71.

- مزنانة:32.

- مكة: 37-44-71.

- مصر:11-12-13-35-36-37- 40-41-42-50-51-71.

- مسجد الجامع:15-18-21-24-27-32-47-48-60.

- المشرق: 22-25-26-31-33-34-35-37-40-45-46-47-58- 60- 71.

- المغرب:12- 22-23-24-25-26-27-29-31- 32-33-34-46-47-48-49-52-53-54-57-71.

- سرقسطة: 57.

- العراق: 22-24-25-54-52.

- الفسطاط: 12.

- صقلية:16- 21-53-56.

- القيـروان: 10ـــ14ـــ15ـــ16ـــ17ـــ18ـــ20ـــ22ـــ23ـــ24ـــ25ـــ26ـــ27ـــ28ـــ32-33-35-38-40-47-48- 54-56- 57-58- 60- 61-63-69.

- قصرالقديم: 20.

- قرطبة:57.

- رقادة:20.

- الشام: 31-44.

- تونس: 18-28-39-40-55.

- قبيلة تميم: 11.

- قبيلة التنّوخ: 31-32.

- بني سعد بن زيد مناة:11.

فهرس المذاهب والفرق:

- الأشاعرة: 46.
- الإباضية: 46-48-68.
- الزنادقة:68.
- المعتزلة: 16- 26-29-46-47-61-68.
- المرجئة: 46.
- المذهب الحنبلي: 26.
- المذهب الحنفي: 11-22-23-24-25–28-46-47 -50-52.
- المذهب المالكي: 23–24-25-28-40-42-46-47 -48-49-50- 51-52-53-54-55 -69 -71-72.
- المذهب الشافعي: 26-46-68.
- الصفرية: 46-46-68.
- الشيعة: 56.
- الخوارج: 26-46- 48
- الظاهري: 46

فهرس الأشعار:

ـ ألم ترني بالكيد أرديت راشداً..... ص 13.

ـ نحن النّجوم بنو النجوم وجدّنا..... ص19.

ـ له مقلة تكفيه حمل سلاحه .....ص17.

ـ أليس أبي ودّي أوطاني .....ص 17،18.

ـ شربتُ الدواء على غربة ..... ص21.

ـ ما سرتُ ميلاً ولا جاوزت مرحلة.....ص13

ـ أنا النار في أحجارها مستكنّة.....ص15.

قائمة المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم، على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، نال شرف كتابته الخطاط عثمان طه، ط4، دار المعرفة، دمشق، 1420هـ.

أولا المصادر:

1ـ المخطوطات:

ـ أبو عمران، الفاسي، مختصر عن مسائل المدوّنة، مخطوط بمصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 3048.

2ـ المصادر المطبوعة:

ـ ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر(ت 658هـ/1260م)، الحلّة السيراء، حققه وعلق على حواشيه مؤنس حسين، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1985م، جزء1.

ـ الأسفرايني، أبو المظهر طاهر بن محمد، التبصير في الدين والتميّز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1983.

ـ البكري، أبي عبيد (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، د/ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د/ت.

ـ الواقدي، ابن سعد محمد بن منيع الهاشمي البصري، طبقات الكبرى، حققه عباس إحسان، دار صادر، بيروت، د/ت، جزء5.

ـ ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1408هـ/1988.

ـ الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري(ت 696هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنّوخي(ت 839هـ)، تحقيق

محمد أبو صمري أبو النّور، ومحمد ما ضيق، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة العتيقة بتونس، د/ت، أجزاء1، 2.

ـ ابن أبي دينار، أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرّعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،تحقيق وتعليق محمد شمام،ط3، المكتبة العتيقة، جامع الزيتونة، تونس، 1987م.

ـ ابن حيان القرطبي، أبو مروان (469هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وعلق عليه محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء.

ـ ابن حوقل، أبي القاسم، المسالك والممالك، طبع في مدينة ليْدن بمطبع بريل، 1872م.

ـ الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق عباس إحسان، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

ـ اليعقوبي ، أحمد ، البلدان ، ط3 ، د/ دار النشر، النجف، 1377هـ/1983م.

ـ ابن الكثير، القريشي الدمشقي، الحافظ عماد الدين(ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية و الإسلامية، ط1، دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ، جزء 14.

ـ المقديسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي، المعروف بالبشاري(ت 387هـ/997م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د/ط، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ،1987م.

ـ مقديش، محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، بحقيق علي الزواري، ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1988م، المجلد1.

ـ النبّاهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م.

ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (833هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق ترحيني عبد المجيد، د/ط، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، د/ت ، جزء24.

ـ سحنون ، عبد السلام بن سعيد التنّوخي، المدوّنة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ)، رواية عن الإمام عبد الرحمان بن قاسم، ويليها مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدوّنة من الأحكام الإمام الحافظ أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد(ت 520هـ) ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1415هـ/1995م، أجزاء: 1،2،3،4.

ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان(ت 916هـ/1505م):

ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د/ط، د/ دار النشر، القاهرة، 1387هـ /1967م، جزء1.

ـ طبقات الحفاظ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1994م.

ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، د/ط، المكتبة الثقافية، بيروت، د/ت، جزء1.

ـ السمعاني التميمي، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور(ت 562هـ)، الأنساب، تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودي، ط1، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت ـ لبنان، 1408هـ/1988م، جزء 3.

ـ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي(ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب القدسي، د/ط، القاهرة، 1350هـ، أجزاء: 1،2.

ـ أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني(ت 333هـ/ 994م)، طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق علي الشّابي، ونعيم حسن اليافي، ط2،دار التونسية للنشر، تونس، 1985م.

ـ ابن عذارى المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق و مراجعة: ج، س، كولان، و إ، ليفي بروفنسال، ط3، 1983م، جزء 1.

ـ ابن فرحون المالكي، إبراهيم بن نور الدين (799هـ) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1418هـ/ 1996م.

ـ ابن الفرضى، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ (ت 403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، د/ت، د/ط، دار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية، ، 1966م، أجزاء:1، 2.

ـ القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصوبي السبتي (544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن ناويت الطنجي، وأخرون، وزارة الأوقاف الدينية والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م، أجزاء 1،2،3،4.

ـ القزويني، زكريا بن محمد، أثار البلاد وأخبار العباد، د/ط، دار صادر، بيروت، د/ت.

ـ القيسي، هيثم بن سليمان، آداب القاضي والقضاة، تحقيق الدشراوي فرحات، د/ط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د/ت.

ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد(ت 756هـ/821م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان،1400هـ/ 1980م.

ـ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ، 1994م.

ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد(ت 548هـ/1153م)، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهفا، وعلي حسن فاغور، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1.

ـ الشيرازي، أبو إسحاق الشافعي، طبقات الفقهاء، تحقيق عباس إحسان، د/ط، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، 1970م.

ـ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن محمد الخضرمي (ت 808هـ/1406م):

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001م،جزء1.

ـ المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، 1952م.

ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت 681هـ)، وفيات والأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970، المجلد 1،3.

ـ الخشني، أبي عبد الله بن الحارث بن أسد القيرواني الأندلسي (ت 361هـ):

ـ طبقات علماء إفريقية، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد غزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1413هـ/1993م.

ـ قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، نشره وصححه وراجع أصله السيّد عزت العطار الحسني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1994م.

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت 748هـ/1374م)، سير أعلام النّبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء صالح السّمر، ط3، مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م، ج 12.

ثانيًا- المراجع :

1- المراجع العربية :

- أحمد أمين، ظهور الإسلام، د/ط، دار المعارف، القاهرة، 1966م،ج1.

- الإدريسي، علي، الجدل الفكري في القيروان من خلال كتاب رياض النّفوس للمالكي، الاتجاهات الكلامية في المغرب الإسلامي، منشورات كلية الآداب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، 2005م.

- بونار، رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، د/ط، الشريكة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.

- البستاني، بطرس، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، 1887م، ج9.

- أبو جيب، سعدي، سحنون مشكاة نور وعلم وحق، ط1، دار الفكر، سورية- دمشق،1401هـ/1981م.

- الجيدي، عمر:

- مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.

- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي،منشورات عكاظ، الرباط، 1407هـ/1987م.

- دغفوس، راضي، دراسات في تاريخ العربي الإسلامي الوسيط، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1425هـ/2005م.

- الهنتاتي، نجم الدين، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، د/ط، تبر الزمان، تونس، 2004.

ـ حوالة ، يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية والمغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري(90هـ ـ450هـ)، د/ط، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، مكة المكرّمة، 2000م، ج2.

ـ حسن حسيني، عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، د/ط، تونس، 1353هـ.

ـ الطالبي ، محمد، دائرة المعارف التونسية في تاريخ إفريقية، د/ط، الجمهورية التونسية، وزارة الثقافة، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج ـ تونس، د/ت.

ـ مؤنس، حسن، معالم تاريخ المغرب والأندلس، طبعة خاصة، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، دار الرشاد، 2004م.

ـ مجاني، بوبة، أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ط1، دار بهاء الدين لنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ/2009م.

ـ محمد زينهم، محمد عزب، الإمام سحنون، تقديم حسين مؤنس، دار الفرجاني، القاهرة، 1992م.

ـ محمد زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار للطبع والنشر، القاهرة، 1408هـ/1988م.

ـ محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقية، القاهرة، 1963م، ج1.

ـ منصور، أحمد صبحي، الحسبة دراسة أصولية تاريخية، ط1، مركز المحروسة للنشر والتوزيع، 1995م.

ـ المعتق، عواد بن عبد الله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنّة منها، ط2، مكتبة الرشد ، الرياض، 1995م.

ـ المختار محمد، محمد المامي، المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2002م.

ـ سعد زغلول، عبد الحميد، تاريخ المغرب الإسلامي:تاريخ دولة الأغالبة و الرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، د/ط، منشأة المعارف الإسكندرية جلال حزي، الكويت، 1979م، ج2.

ـ عاشور سعيد، عبد الفتاح، وآخرون، دراسة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، د/ط، الكويت، 1985م.

ـ العيدروس، محمد حسن، المغرب العربي في العصر الإسلامي، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2006م.

ـ علوي، حسن حافظ، مراجعات حول الصراع السنّي الإباضي ببلاد المغرب، الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، ط1، دار البيضاء، مطبعة النّجاح الجديدة، 2008م.

ـ تيمور باشا، أحمد، المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين، تقديم الشيخ محمد أبو زهرة، دار القادري للطباعة والنّشر، 1411 هـ/1990م.

2- 2- المراجع المعرّبة:

ـ الطالبي ، محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)، تعريب المنجي الصيادي، ومراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415هـ/1995م.

ـ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقية الشمالية، تونس، الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م. تعريب محمد مزالي، و البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر،

تونس، 1398هـ/1978م، ج2.

2- 3- المراجع باللغة الأجنبية:

_ Brunschvig (R), Logique et le droit dans l'islam, dans l'études d'islamologie, T 2 , édition G. P. Maisonneuve et la rousse, Paris, 1976.

_ Schacht (J), Sur la transmission de la doctrine dans les écoles juri diques de l'slam, T.X, dans les annales de faculté de lettres de l'université, d'Alger, 1952.

3- الدوريات والملتقيات:

- أبو الأجفان، المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان، بحوث الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب البغدادي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1425هـ/2004م.

- الزيدي، عبد الله بن علي، (سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقية والمغرب 184-296هـ/ 761-908م)، مجلة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض، العدد 18، 1426هـ/2005م.

ـ ميكلوش، موراني، مصادر جديدة حول رواية كتب المدوّنة لسحنون بالقيروان، محاضرات ملتقى الإمام سحنون، 07 -09 جمادى الثانية 1412هـ/13-15 ديسمبر1991م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، 1993م.

- شبوح، إبراهيم، (سجل قديم لمكتبة جامع القيروان)، مجلة معهد المخطوطات العربية، 1376هـ/ 1956م، المجلد 2.

4 ـ الرسائل الجامعية:

ـ أوكيل، مصطفى باديس، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وأثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري، رسالة لنيل الماجستير في تاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

ـ بوالسعد، الطيّب، الحياة العلمية والثقافية في إمارة الأغلبية وعلاقتها بالخلافة العباسيّة 184-296هـ/ 800-909م، رسالة لنيل الماجستير، جامعة الجزائر، 2001-2002م.

ـ بوعقادة، عبد القادر، المذاهب الفقهية المندثرة وأثارها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث الهجريين، الثامن والتاسع الميلاديين، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، 2004م.

ـ لوزري، سعيدة، المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره (3-5هـ/9-11م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 1430-1431هـ/2009-2010م.

ـ المشهداني، علياء هاشم ذنون محمد، فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى المنتصف القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلادي، وهي جزء من متطلبات لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة في التاريخ الإسلامي، مجلس كلية التربية، جامعة الموصل، 1424هـ/2003.

ـ نوار، نسيم، النِّزاع السّني الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية (296ـ 443هـ/909-1051م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، 1431-1432هـ/2010- 2011م.

ـ رافعي، نشيدة، الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي 196-362هـ، أطروحة لنيل دكتوراه، جامعة الجزائر، 2002-2003م.

5- الموسوعات والمعاجم:

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، د/ط ، دار الصادر، بيروت، 1977، أجزاء1،3،4.

- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل(ت 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهشام محمد الشاذلي، طبعة جديدة محققة ومشكولة ومذّيلة بفهارس مفصلة، دار المعارف، القاهرة، د/ت، المجلد 4،5،6.

- ابن قنفذ القسنطيني، أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن خطيب، الوفيات، معجم زمني للصحابة والأعلام المحدّثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11-807هـ، حققه وعلق عليه نويهض عادل، ط4، دار الأفاق الجديدة، بيروت،1403هـ/1983م.

- رضا كحالة، عمر، معجم المؤلفين، سورية، 1380هـ/1960م، ج5.

فهرس الموضوعات:

مقدمة .....أ ـ ط.

الفصل الأول: الحياة الفكرية والعلمية بإفريقية في عهد الأغالبة.....10-29.

المبحث01: الدور الثقافي للحكام الأغالبة.....11- 21.

المبحث02: دخول المذاهب الفقهية إلى إفريقية.....22-26.

المبحث03: المناظرات والحلقات العلمية بالقيروان في عهد الأغالبة.....27- 29.

الفصل الثاني: مولد ونشأة سحنون بن سعيد التنّوخي العلمية.....30-44.

المبحث01: نشأة الإمام سحنون بن سعيد التنّوخي..... 31-34.

المبحث02: رحلاته العلمية.....35-37.

المبحث03: أهم شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم.....38-44.

الفصل الثالث: أعمال الإمام سحنون العلمية بعد عودته من المشرق في عهد الأغالبة.....45-58.

المبحث01: مساهمة الإمام سحنون في نشر المذهب المالكي بإفريقية.....46-49.

المبحث02: المدوّنة الكبرى في أصول الفقه المالكي.....50-53.

المبحث03: تلامذة الإمام سحنون.....54-58.

الفصل الرابع: الإمام سحنون والسياسة في عهد الدولة الأغالبة.....59-69.

المبحث01: موقف الإمام سحنون من نظام حكم الأغالبة.....60-62.

المبحث02: تولية الإمام سحنون قضاء إفريقية.....63-65.

المبحث03: أهم الإصلاحات والتنظيمات التي قام بها أثناء توليته قضاء إفريقية....66-69.

الخاتمة.....70-72.

الملاحق.....73-79.

فهرس الآيات القرآنية.....81 -82.

فهرس الأعلام.....83-87.

فهرس القبائل والبلدان..... 88-90.

فهرس المذاهب والفرق.....91.

فهرس الأشعار.....92.

ثبت بالمصادر والمراجع.....93 -103.

فهرس الموضوعات.....104-105.